قصة المسيح عيسى ابن مريم

وأمه مريم العذراء

من المهد إلى اللحد

«سلسلة مقالات علمية تُعْنى بتصحيح مفاهيم وحل إشكالات لدى جمهور المسيحيين حول حقيقة وطبيعة المسيح عيسى ابن مريم ، وأمه مريم العذراء»

إعداد: ماجد بن سليمان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بشأن نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، فابتدأ قصته بِـذِكر ولادة أمه مريم ، ونشأتها نشأة الطهر والعفاف والعبادة والتبتل ، ثم ذَكَـر إكرام الله تعـالى لها بأن رزقها غلاما بلا أب ، حيث أرسل لها أعظم الملائكة وهو جبريل – عليه السلام – ليبشرها به ، ولينفخ فيها فتحمِل بعيسى عليه السلام ، ثم ذكر رعاية الله لها أثناء حملها ، ورعايته لها أثناء ولادتها له ، ثم حديثها مع بني إسرائيل لما استنكروا إنجابها للولد وليست ذات زوج ، وكلام عيسى في المهد بأنه عبد الله ، وأنه نبي من عند الله ، ثم بيّن القرآن خبره بعدما كبر لما بعثه الله إلى بني إسرائيل نبيا مؤيَّـدًا بمعجزات كثيرة تدل على نبوته ، وأنه رسول من عند الله ، ليعلم الناس أنه لا يأتي بتلك المعجزات إلا رسولٌ أيده الله بها ، حالُـهُ في هذا كحال غيره من الأنبياء ، ثم ختم القرآن أخبار عيسى ابن مريم بذكر محاولة اليهود قتله ، وكيف أن الله نجاه منهم بمعجزة إلهية ، لم تحصل لنبي قبله ، وهي رفعُـهُ إلى السماء معززا مكرما ، خلافا لما يعتقده النصارى[1] واليهود فيه أنه قتله اليهود وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة على هيئة صليب ووضعوا الشوك على رأسه ، حاشاه من ذلك.

---

[1] النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين ، وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

وقد سلك الإسلام في الاعـتقاد بالمسيح مسلكا وسطا بين اليهود والنصارى ، فالنصارى عظَّموه وأخرجوه من حيز البشرية إلى حيز الألوهية ، ثم اضطربوا في هذا اضطرابا عظيما ، فمنهم من قال إنه هو الله ، ومنهم من قال إنه هو ابن الله ، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة ، وهم في هذا الاعتقاد مناقضين لاعتقادهم الآخر فيه ، وهو أن اليهود قتلوه وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة الصليب ، إذ كيف يجتمع كونه ربا لهذا الكون مع وقوع الإهانة العظيمة عليه؟!

أفلا دافع الله عن ابنه ، لو كان ابنه حقا؟!

واليهود – على الجانب الآخر – اعتقدوا في المسيح عيسى ابن مريم اعتقادا يناقض اعتقاد النصارى تماما ، فقالوا إنه ابن زنا (حاشاه من ذلك) ، حسدا له أن جعله الله نبيا ، وهم مع هذا لا يؤمنون بنبوته.

ولكن طائفة قليلة من أتباع عيسى ابن مريم بقيت على إيمانها الصحيح بعيسى ابن مريم ، وهم الحواريون ، فبقوا متمسكين بدينه حتى بعد رفعه إلى السماء ، وهم بريئون من غُـلُـوِّ[1] النصارى في المسيح ، وازدراء اليهود له.

ثم جاء الإسلام فجَلَّـى حقيقة الأمر ، وكان هذا بعد رفع المسيح بنحو ستة قرون ، وذلك أن الله رحيم بعباده ، لم يترك بني إسرائيل يسيرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد ، فأرسل نبيه محمدا إلى جميع الناس ، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل ، وأنزل عليه القرآن ، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل الذي طرأ على التوراة والإنجيل ، والذي تسبب في اضطراب عقيدة المسيحيين في المسيح نفسه ، واختلافهم في فهم ذاته وماهيته فبيَّن القرآن حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام ، فلم يدع شبهة إلا أزالها ، ولا حقيقة إلا أبانها ، وبين أنه نبي عظـيم من أنبياء بنـي إسرائيل ، أرسله الله ليأمرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، وأنزل معه الإنجيل فيه هدى ونور ، ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وبَيَّن القرآن أن الله نسخ شريعة المسيح ومن قبله من الأنبياء بشريعة الإسلام ، وجعلها مهيمنة على ما قبلها من الشرائع ، وحفِظ دستورها وهو القرآن من التحريف والضياع.

وقد ورد ذكر اسم عيسى في القرآن ٢٥ مرة ، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات ، كما ورد ذكر اسم أمه مريم ٣١ مرة ، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بأمثالهما من البشر ، دون اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية ، بل هما بشر مثلنا ، يَعبُدَانِ اللهَ كما نعبده نحن ، ويرجوانه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

[1] الغُـلُـو هو الزيادة في التعظيم كما سيأتي.

ليس هذا فحسب ، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أولي العزم من الرسل ، والعزم أي: الصبر والحزم.

وأولي العزم من الرسل هم أعظم الرسل ، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) ، صلوات الله عليهم جميعا.

وبعد:

فهذا البحث يسلط الضوء على أخبار النبي العظيم عيسى ابن مريم كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[1] فيما يتعلق بستة جوانب من حياة مريم ابنة عمران وابنها المسيح عيسى ابن مريم:

١. **قصة ميلاد مريم بنت عمران**
٢. **قصة ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم**
٣. **إثبات أن الله منزه عن الولد**
٤. **ذكر شيء من دلائل نبوة المسيح عيسى ابن مريم**
٥. **ذكر شيء من أخبار المسيح عليه السلام ومناقبه**
٦. **صِفَةُ المسيح عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام**
٧. **قصة رَفْعِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام**
٨. **اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء**

[1] معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.
ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك ، وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب قول (عليه السلام) عند ذكر باقي الأنبياء ، تشريفا لهم وتكريما.

٩. قصة نزول المسيح ، وما يحصل بعد نزوله من أحداث عِظام

١٠. خاتمة

وبعد ، فلا يفوتني في هذا البحث التنبيه بأني اعتمدت في هذا البحث اعتمادا أساسيا في هذا البحث المتعلق بالمسيح وأمه على كتاب «البداية والنهاية» للشيخ إسماعيل بن عمر بن كثير ، رحمه الله ، وضممت إليه بعض ما قاله في تفسيره المشهور «تفسير القرآن العظيم» في هذا الباب ، وزدت عليه ما يسر الله من فوائد علمية ، سدد الله الخطى وبارك في الجهود.

والذي دعاني لإعداد هذا البحث هو بيان على عقيدة المسلمين في المسيح عيسى ابن مريم وأمه مريم بنت عمران عليهما السلام ، حيث أني وجدت من خلال بعض مناقشاتي مع بعض (النصارى) المسيحيين أنهم يظنون أن المسلمين يبغضون المسيح وأمه ، فأثبتُّ في هذا البحث خلاف ذلك ، وبينتُ أن القرآن الكريم يوقر المسيح وأمه ويعلي قدرهما في حدود البشرية ، وينفي عنهما ما نُسِب إليهما من أوصاف الألوهية والربوبية ، إذ أن ذلك خاص بالرب سبحانه وتعالى ، وهو الله ، لا يشاركه فيه أحد ، كائنا من كان.

كما وجدت عند شريحة من مثقفي النصارى (المسيحيين) تشوق جاد ورغبة أكيدة للتخلص من حالة عدم القناعة القلبية بما تمليه الكنائس عليهم من عقائد مناقضة للعقل والمنطق ، وكلام غير مفهوم يبثه القساوسة كل يوم أحد ، يصاحب هذا أن القساوسة يخشون فتح باب مناقشة عقائدهم أمام المسلمين ، وفي أغلب الأحيان يلجئون إلى مبدأ التخويف والإرهاب لأفراد الرعية من أتباعهم من مناقشة المسلمين أو مجرد الاحتكاك بهم ، فجاءت فكرة هذا البحث ، الذي بحمد الله ، اخترق جدران الكنائس ، وقرأه قساوسة وخوريون وراهبات وأفراد مِمَّن يُصنَّفون تحت قسم الرعية ، فاقتنع بمحتواه أكثرهم.

ومن اللطائف أيضا أني أطّلعتُ أحد الراهبات المسيحيات على عقيدة الإسلام الصافية في المسيح ، فقالت لي بصريح العبارة:

(عقيدتكم في المسيح خير من عقيدتنا نحن المسيحيين فيه).

وفق الله الجميع للعلم النافع والاعتقاد الصالح ، وجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

اللهم رب جبرائيل وميكائل وإسرافيل[1] ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

ماجد بن سليمان ، في الثامن من جمادى الثانية من عام ١٤٣٧ هجري ، الموافق ١٨ مارس لعام ٢٠١٦ ميلادي.

[1] جبرائيل هو أعظم الملائكة ، وهو الملك الموكل بالوحي إلى الرسل.
وميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر.
وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء.
ومعنى فاطر السماوات والأرض أي خالقها.

توضيح مصطلحات متكررة في الكتاب

- **مصطلح «صلى الله عليه وسلم»**

كما تقدم في أول المقدمة ، فإن معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.

ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك ، وسَلِّمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب قول (عليه السلام) عند ذكر باقي الأنبياء ، تشريفا لهم وتكريما.

- **مصطلح «مريم عليها السلام»**

إذا قيل (مريم عليها السلام) فهذا دعاء لها بالسلامة في عرضها ، حيث أن اليهود يطعنون فيها ويقولون إنها زنت مع يوسف النجار فأنجبت عيسى ، حاشاها من ذلك ، فالمسلم يدعو لمريم بالسلامة مِن طعن اليهود في عِرضها بقوله (عليها السلام).

وسوف يمر معنا قريبا أن الله أخبر عن مريم عليها السلام بأنه اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ، كما أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنها سيدة نساء أهل الجنة.

- **مصطلح «النَّصارى»**

النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.

وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين ، وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

{قصة ميلاد العذراء البتول[١] ، مريم بنت عمران ، كما وردت في الكتاب المقدس «القرآن»}

أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سورة آل عِمران ، وبَيَّنَ فِيهَا أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ فِي الرَّحِمِ كَمَا صَوَّرَ غَيْرَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ ، وَقَالَ لَهُ: (كُنْ) فَكَانَ.

وَبَيَّنَ تَعَالَى أَصْلَ مِيلَادِ أُمِّهِ مَرْيَمَ ، وَكَيْفَ كَانَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَكَيْفَ حَمَلَتْ بِوَلَدِهَا عِيسَى ، كما بَسَطَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «مَرْيَمَ» ، فَقَالَ تَعَالَى في هذه السورة وهو أحكم الحاكمين وأَصْدَقُ الْقَائِلِينَ:

- {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب}[٢].

يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ اصْطَفَى آدَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْخُلَّصَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْمُتَّبِعِينَ شَرْعَهُ الْمُلَازِمِينَ طَاعَتَهُ ، ثُمَّ خَصَّصَ فَقَالَ: وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ، فَدَخَلَ فِيهِمْ بَنُو إِسْمَاعِيل ، وَبَنُو إِسْحَاق.

---

[١] البتول أي المنقطعة عن الرجال. انظر «النهاية».

[٢] سورة آلِ عِمْرَانَ: ٣٣ — ٣٧ .

ثُمَّ ذَكَرَ فَضْلَ هَذَا الْبَيْتِ الطَّاهِرِ الطَّيِّب ، وَهُمْ آلُ عِمْرَان ، وَالْمُرَادُ بِعِمْرَانَ هَذَا وَالِدُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام ، وَهُوَ عِمْرَانُ بن بَاشِمَ بن أَمُونَ بن ميشَا بن حِزْقِيَا بن أَحْرِيقَ بن مَوْثِمَ بن عَزَازِيا بن أَمْصِيَا بن يَاوِش بن أَحْرِيهُو بن يَازم بن يَهْفَاشَاط بن إِيْشا بن أِيان بن رَحْبَعَام بن سُلَيْمَان بن دَاوُد. فلَا خِلَافَ أن مريم هي من سُلَالَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ أَبُوهَا عِمْرَانُ صَاحِبَ صَلَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهَا ، وَهِيَ حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُود بْنِ قُبَيْل ، مِنَ الْعَابِدَاتِ ، وَكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيَّ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وهو زَوْجَ أُخْتِ مَرْيَمَ ، وهي أَشْيَاعَ فِي قَوْلِ جُمْهُورِ العلماء.

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ[١] وَغَيْرُهُ أَنَّ أُمَّ مَرْيَمَ كَانَتْ لَا تَحْبَلُ ، فَرَأَتْ يَوْمًا طَائِرًا يُطعِم فَرْخًا لَهُ ، فَاشْتَهَتِ الْوَلَدَ ، فَنَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ حَمَلَتْ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا مُحَرَّرًا ، أَيْ حَبِيسًا فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَنْذِرُونَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ خُدَّامًا مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، فَحَاضَتْ مِنْ فَوْرِهَا ، فَلَمَّا طَهُرَتْ وَاقَعَهَا بَعْلُهَا ، فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ ، عَلَيْهَا السَّلَام ، وأثناء حملها مات زوجها عِمران.

- {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}

رُزِقت حنة أم مريم بنتاً ، فأَسِفت حنّة واعتذرت لله عزّ وجل ، لأن البنت لا تقوم بالخدمة في المسجد كما يقوم الرجل ، فقالت ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ ، أي: في القوة الجسمية للقيام بالخدمة.

- وَقَوْلُهَا: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم} ، أي أُعِيذُها وألجئُها بالله من نزغات الشيطان ، فاستجاب الله دعاءها ، كما جاء في الحديث عَنْ النَّبِيَّ محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيان حماية الله لمريم وذريتها — ولم يكن لها ذرية إلا ابنها المسيح – ، في قوله: «مَا مِنْ بني آدم مَوْلُودٍ إِلَّا

[١] محمد بن إسحاق بن يسار ، من علماء المسلمين في التاريخ والمغازي والحديث ، ولد سنة ٨٥ بالتاريخ الهجري ، ٧٠٣ بالتاريخ الميلادي ، هو أول من دوَّن تاريخ سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وتخصص في هذا ، وصار من بعده عيالا عليه ، توفي سنة ١٥٠ هجرية. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ».

يَـمَسُّهُ[١] الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا[٢] مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ ، غير مَرْيَمَ وَابْنَهَا» ، ثُمَّ قال أَبُو هُرَيْرَةَ – راوي الحديث –:

وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}.[٣]

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بإصبعيه حِينَ يُولَدُ ، غير عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ[٤]».[٥]

- وَقَوْلُهُ: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}

قَـبِـل الله سبحانه وتعالى من حنّة نذرها ، وجعله نذراً مباركاً ، فرزقها مريم ، ثم سلَّمت الأم ابنتها مريم بَعْدَ رَضَاعِهَا إِلَى الْعُبَّادِ الَّذِينَ هُمْ مُقِيمُونَ في بيت المقدس ليقوموا بكفالتها وتربيتها تربية دينية ، فَتَنَازَعُوا فِيهَا ،كلهم يريد أن يكفلها ، لاسيما وهي ابْنَةَ عِمران ، إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ صَلَاتِهِمْ ومعلمهم دينهم وذا أفضال عليهم ، وكان قد مات كما تقدم لما كانت أمها حُبلى بها.

وكان زَكَرِيَّا هو نَبِيَّهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وكان يريد كفالتها ، لاسيما وهو زوج خالتها ، فنازعوه فِي ذَلِكَ ، كلهم يريد أن يكفلها ، وَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعَ مَعَهُمْ ، فَخَرَجَتْ قُرْعَتُهُ غَالِبَةً لَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ أَلْقَى

---

[١] أي يمسه بإصبعه ليصيح.

[٢] يستهل صارخا أي يصيح.

[٣] رواه البخاري (٣٤٣١) ومسلم (٢٣٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] الحجاب هو حجاب ضربه الله بين الشيطان ومريم ، فلما أراد الشيطان أن يطعن مريم في جنبها طعن في الحجاب ، وكذلك الأمر بالنسبة لابنها المسيح عيسى ابن مريم ، لما أراد أن يطعنه في جنبه بأصبعه ليصيح جاءت الطعنة في الحجاب الذي جعله الله بينهما ، فحماه الله منه.

[٥] رواه البخاري (٣٢٨٦) ومسلم عقيب الحديث رقم (٢٣٦٦).

قَلَمَهُ مَعْرُوفًا بِهِ ، ثُمَّ وَضَعُوا الأقلام فِي مَوْضِعٍ ، وَأَمَرُوا غُلَامًا لَمْ يَبْلُغِ الْحِنْثَ[١] أن يختار قلما من تلك الأقلام ، فأيهم خرج قلمه فاز بكفالة مريم ، فَأَخْرَجَ وَاحِدًا مِنْ تلك الأقلام ، فكان قَلَمُ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَام.

فَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعُوا مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِأَنْ يُلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فِي النَّهْرِ ، فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ عَلَى خِلَافِ جَرْيَةِ الْمَاءِ فَهُوَ الْغَالِبُ ، فَفَعَلُوا ، فَكَانَ قَلَمُ زَكَرِيَّا هُوَ الَّذِي جَرَى عَلَى خِلَافِ جَرْيَةِ الْمَاءِ ، وَسَارَتْ أَقْلَامُهُمْ مَعَ الْمَاء.

ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَقْتَرِعُوا ثَالِثَةً ، فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ مَعَ الْمَاءِ ، وَتَكُونُ بَقِيَّةُ الْأَقْلَامِ قَدِ انْعَكَسَ سَيْرُهَا فَهُوَ الْغَالِبُ ، فَفَعَلُوا ، فَكَانَ زَكَرِيَّا هُوَ الْغَالِبَ لَهُمْ ، فَفاز بالقرعة فكَفَلَهَا.

وهذا تفسير قول الله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون}.

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وكفَّلها زكريا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب}

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: اتَّخَذَ زَكَرِيَّا لَهَا مَكَانًا شَرِيفًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا ، فَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ ، وَتَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ خدمة الْبَيْتِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبَتُهَا ، وتتعبد فيه لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا ، حَتَّى صَارَتْ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ بِعِبَادَتِهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَاشْتَهَرَتْ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، وَالصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ ، ومن ذلك أن نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا كان كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مَوْضِعَ عِبَادَتِهَا ، وجد عِنْدَهَا رِزْقًا غَرِيبًا فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ، فَكَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، فَيَسْأَلُهَا: {أَنَّى لَكِ

[١] لم يبلغ الْحِنْثَ أي لم يبلغ مبلغ الرجال ، بل لا زال صغيرا.

هَذَا} ، أي من أين لك هذا ، فَتَقُولُ: {هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ، أَيْ: هو رِزْقٌ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ ، {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب} ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طَمِعَ زَكَرِيَّا فِي رزقٍ من عند الله كما حصل لمريم ، بأن يرزقه الله ولدا ، والولد من أعظم الأرزاق.

- ثم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِين * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِين} ، ثم قال {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِين * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِين * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيل * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم}.[١]

فَقَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: {يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ} أَيِ اخْتَارَكِ وَاجْتَبَاكِ ، {وَطَـهَّرَكِ} أَيْ: مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَأَعْطَاكِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ ، {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} ، يذْكُرُ الله تَعَالَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَشَّرَتْ مَرْيَمَ بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهَا ، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ نِسَاءِ عَالَمِي زَمَانِهَا ، بِأَنِ اخْتَارَهَا لِإِيجَادِ وَلَدٍ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أَبٍ ، وَبُشِّرَتْ بِأَنْ يَكُونَ نَبِيًّا شَرِيفًا {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} ، أَيْ: فِي صِغَرِهِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ

[١] سورة آلِ عِمْرَان: ٤٢ — ٥١ .

اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ فِي حَالِ كُهُولَتِهِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَبْلُغُ الْكُهُولَةَ ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِيهَا ، وَأُمِرَتْ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَالْقُنُوتِ وَالسُّجُودِ وَالرُّكُوعِ لِتَكُونَ أَهْلًا لِهَذِهِ الْكَرَامَةِ ، وَلِتَقُومَ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ. فكَانَتْ تَقُومُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَحِمَهَا ، وَرَحِمَ أُمَّهَا وَأَبَاهَا.

وقد أثنى الله على مريم ثناء عظيما فوصفها بالصِّدِّيقة في آية أخرى وهي قوله تَعَالَى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يأكلان الطعام}[١].

ومعنى صِدِّيقةٌ أي أنها صَدَّقت بكلام الله وأوامره التي أنزلها على أنبياءه تصديقًا جازمًا ، وعمِلت بما أمرها الله فيها ، فوافق عملها علمها ، فلم يبدر منها ما يخالف الشريعة.

كما جاء وصفها بتصديق كلام ربها في آية أخرى وهي قول الله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٢].

وَالْمَقْصُودُ أن اللَّهَ طَهَّرَ مريم وَاصْطَفَاهَا عَلَى نِسَاءِ عَالَمِي زَمَانِهَا ، وكفى بهذه المنزلة شرفا ورفعة.

[١] سورة المائدة: ٧٥ .

[٢] سورة التحريم: ١٢ .

خلاصة في عقيدة الناس في مريم ابنة عمران

عقيدة الناس في مريم ابنة عمران ثلاثة أنواع:

الأول: اليهود حطوا من قدر مريم ، فقالوا إنها زنت مع يوسف النجار ابن خالها ، فأنجبت المسيح ، حاشاها من ذلك.

الثاني: النصارى رفعوا قدرها فجعلوها فوق مستوى البشر ، فوصفوها بأوصاف الرب ، وعبدوها ، ويقولون إنها زوجة الله وصاحبته ، مع وجود اختلاف بينهم في قدر التعظيم ، فقد اختلفت الطوائف الكبرى الثلاث من طوائف النصارى حول مريم العذراء اختلافا كبيراً ، حيث يرى فيها الأرثوذكس أنها وُلِدت كأي إنسان آخر حاملة للخطية ، ومثل الأنبياء والقديسين.

ولكن القساوسة الأولين نادوا بأن مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية مثل المسيح ، ويرون أن مكانتها تتلخص في كونها أم الله ، فهم يُكَرِّمونها ويقومون بعمل صوم لها وأعياد في الوقت نفسه.

وأما الكاثوليك فيعتقدون أنها بريئة من الخطية مثل المسيح وبلا دنس ، ويعتقدون أنها صعدت حية إلى السماء ، وصنعوا لها التماثيل في كنيستهم ، ويصلون لها ، ويعتقدون بالثالوث المَرْيَمِي حتى في الصلوات ، ويدمجونها مع الثالوث الأقدس عندهم.

وأما البروتستانت فيعتبرونها مخلوقة عادية كغيرها ، ويعترضون على تسميتها «الإلٰه» ، وأم الإلٰه ، وزوجة الرب وصاحبته ، ويعتقدون أنها أم يسوع فقط ، فهي لم تلد اللاهوت ، وإنما ولدت جسداً فقط ، وقال بعضهم إنها قشرة البيضة التي خرج منه الكتكوت.

وقد اتفق الأرثوذكس والكاثوليك على بُتولِية العذراء – أي انقطاعها عن الرجال – وعدم وجود إخوة للمسيح بالجسد.

وعلى العموم فمريم عند الأغلب من الطوائف هي المباركة والشفيعة المؤتمنة عند الرب ، وهي القديسة لدرجة عالية جدا ، وتصل الى درجة أن يحلف الناس بها ويشركونها مع ابنها المسيح ، ويرجون منهما الحفظ ، ويذكرونها مع الرب ، ويتبركوا بها للرب الأب كما يسمونه الآن ، وهي سلطانة السماء ، وأم النور ، وهي تبارك أعمال المسيحيين وترعاهم ، وهي زوجة الله وصاحبته ، وهذا كله من الخرافة ، لأن

الله غني عن العالمين كلهم ، وهو ليس بحاجة إلى مخلوقة خلقها بنفسه كما خلق غيرها ، بل هو الغني سبحانه.

ثم إن مريم العذراء لو كان لها شيء من صفات الرب لردَّت الموت عن نفسها ، ولَـرَدَّت محاولات إلحاق الأذى بابنها ومحاولة قتله وصلبه التي يعتقدون حصولها فيه ، ولكن لم يكن شيء من ذلك منها ، بل الذي حماه هو الله ، فرفعه إلى السماء ، وحماه من القتل والصلب ، وأما مريم فبشر كغيرها من النساء ، عاشت عابدة لربها ، حتى جاءها للموت وماتت ، وهي من أفضل نساء العالمين في الدنيا وفي الجنة.

كذلك فلو كانت مريم هي زوجة الله لرد الله الموت عنها ، لأن الموت صفة نقص ، ولا أحد يريد أن تموت زوجته ، وهذا شيء واضح جدا ، وصدق الله ﴿وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ ، ومعنى ﴿جدُّ ربنا﴾ ، أي عظمة ربنا ، ومعنى الآية: وأنه تعالَتْ عظمة ربنا وجلاله ، ما اتخذ زوجة ولا ولدًا.

الثالث: يبين دستور الإسلام وهو القرآن أن مريم بنت عمران كانت عابدة لله ، شريفة صِـدِّيقة تقية نقية ، لم تعبد غير الله ، ولم تدعو الناس إلى عبادتها ولا عبادة ابنها ، وقد جاء ذكرها في مقام الاحترام والتبجيل في ٣١ موضعا من القرآن ، وورد ذكر اسم ابنها المسيح عيسى ابن مريم في القرآن ٢٥ مرة ، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات ، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل ، ولكن هذا الاحترام والتعظيم هو بالقدر اللائق بالبشر ، فلا يتضمن اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية ، بل هما بشر مثلنا ، ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء ، ويعبدون الله كما نعبده نحن ، ويرجونه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

كما ينص دستور الإسلام على أن مريم بنت عمران حملت بالمسيح بكلمة الله (كن) فكان المسيح في بطنها ، وبقي في بطنها البقاء في مراحل تكون الجنين كغيره ، ثم ولدته كما تلد النساء أبناءهن.

انتهى بحمد الله مقال: «قصة ميلاد مريم بنت عمران» ، ويليه المقال الثاني وهو: «قصة ميلاد النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم»

وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين

{قصة ميلاد العبد الرسول المسيح عيسى ابن مريم

كما وردت في الكتاب المقدس «القرآن»}

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرحمٰن مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ للرحمٰن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[١].

ذَكَرَ تَعَالَى هَذِهِ الْقِصَّةَ بَعْدَ قِصَّةِ زَكَرِيَّا ، الَّتِي هِيَ كَالْمُقَدِّمَةِ لَهَا وَالتَّوْطِئَةِ قَبْلَهَا ، كَمَا ذَكَرَها فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» ، فقَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ في السورتين ، وَكَمَا قَالَ فِي سُورَةِ «الْأَنْبِيَاءِ»: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين * وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}[٢].

فقوله {والتي أحصنت فرجها} يعني بها مريم ، أحصنت فرجها من فعل الحرام وهو الزنا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَرْيَمَ جَعَلَتْهَا أُمُّهَا مُحرَّرَةً ، تَخْدِمُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَنَّهُ كَفَلَهَا زَوْجُ خَالَتِهَا نَبِيُّ ذَلِكَ الزَّمَانِ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ اتَّخَذَ لَهَا مِحْرَابًا ، وَهُوَ الْمَكَانُ الشَّرِيفُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا سِوَاهُ ، وَأَنَّهَا لَمَّا بَلَغَتِ اجْتَهَدَتْ فِي الْعِبَادَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ لها فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ نَظِيرٌ فِي فُنُونِ الْعِبَادَاتِ ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ مَا غَبَطَهَا بِهِ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهَا خَاطَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ لَهَا بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهَا ، وَبِأَنَّهُ سَيَهَبُ لَهَا وَلَدًا زَكِيًّا ، يَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا طَاهِرًا مُكَرَّمًا ، مُؤَيَّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ ، فَتَعَجَّبَتْ مِنْ وُجُودِ وَلَدٍ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ ، لِأَنَّهَا لَا زَوْجَ لَهَا ، وَلَا هِيَ مِمَّنْ تَتَزَوَّجُ ، لأنها مُحَررة لخدمة بيت المقدس والعبادة فيه على الدوام ، فَأَخْبَرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ (كُنْ) فَيَكُونُ ، فَاسْتَكَانَتْ لِذَلِكَ وَأَنَابَتْ وَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّ هَذَا فِيهِ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ

[١] سورة مريم: ١٦ – ٣٧ .

[٢] سورة الأنبياء: ٨٩ – ٩١ .

لَهَا ، فَإِنَّ النَّاسَ سيَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِسَبَبِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى ظَاهِرِ الْحَالِ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا تَعَقُّلٍ.

وَكَانَتْ مريم تَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي زَمَنِ حَيْضِهَا ، أَوْ لِحَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا ، مِنَ اسْتِقَاءِ مَاءٍ أَوْ تَحْصِيلِ غِذَاءٍ ، فَبَيْنَمَا هِيَ يَوْمًا قَدْ خَرَجَتْ لِبَعْضِ شُئُونِهَا وَانْتَبَذَتْ أَيِ انْفَرَدَتْ وَحْدَهَا شَرْقِيَّ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا الرُّوحَ الْأَمِينَ ، جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} ، فَلَمَّا رَأَتْهُ {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بالرحمٰن مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} ، فقال لها جبريل {إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ} ، أَيْ: لَسْتُ بِبَشَرٍ وَلَكِنِّي مَلَكٌ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكِ {لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} ، أَيْ وَلَدًا زَكِيًّا ، فقالت مريم متعجبة {أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ} أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ، {وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} أَيْ: وَلَسْتُ ذَاتَ زَوْجٍ ، وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَفْعَلُ الْفَاحِشَةَ ، فأجابها جبريل قائلا {كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} أَيْ: هذا قضاء ربك ، أمر وقدَّر بأن يَخْلُقُ مِنْكِ غُلَامًا بطريقة خارقة للعادة ، بأن يكون منك ولد بدون اتصال برجل ، وقال {هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} أَيْ: وَهَذَا سَهْلٌ عَلَيْهِ ، وَيَسِيرٌ لَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.

{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ} أَيْ: وَلِنَجْعَلَ خَلْقَهُ ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ ، من أنثى بلا ذكر ، دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِنَا عَلَى أَنْوَاعِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ، وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى ، وَخَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ ، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الْخَلْقِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.

وَقَوْلُهُ: {وَرَحْمَةً مِنَّا} أَيْ: نَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ ، بِأَنْ يدعو المسيح بني إسرائيل إِلَى عبادة اللَّهِ وحده لَا شَرِيكَ لَهُ فِي صِغَرِهِ وفِي كِبَرِهِ ، وَيُنَزِّهُوهُ عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالنُّظَرَاءِ ، وَالْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ.

وَقَوْلُهُ: {وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ وَحَتَّمَهُ وَقَدَّرَهُ وَقَرَّرَهُ ، فلا مفر من وقوعه.

وقد ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ العلماء أَنَّ جِبْرِيلَ نَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا[١] ، فَنَزَلَتِ النَّفْخَةُ إِلَى فَرْجِهَا ، فَحَمَلَتْ مِنْ فَوْرِهَا ، كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ عِنْدَ جِمَاعِ زوجها ، وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ نَفَخَ فِي فَمِهَا أو في صدرها فقد أخطأ ، بل نَفَخَ في جيب درعها ، وَلَمْ يُوَاجِهِ الْمَلَكُ الْفَرْجَ ، بَلْ نَفَخَ فِي جَيْبِهَا فَنَزَلَتِ النَّفْخَةُ إِلَى فَرْجِهَا ، فَانْسَلَكَتْ فِيهِ إلى الرحم[٢] ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا} ، فوصلت النفخة إلى رحِمِها ، فقال الله (كن) فكان عيسى في رحِمِ أمه ، وبعد مرور تسعة أشهر ولدته ولادة طبيعية كغيرها من النساء ، وانتهى الموضوع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أَيْ حَمَلَتْ بوَلَدِهَا ، {فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} ، أي ذهبت إلى ناحية قاصية بعيدا عنهم لئلا تراهم ولا يروها ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَمَّا حَمَلَتْ ضَاقَتْ بِهِ ذَرْعًا ، لعلمها أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ سَيَكُونُ مِنْهُمْ كَلَامٌ فِي حَقِّهَا من جـــهة شرفها ، وأنها ستُتَّهم بأنها حملت من طريق الزنى ، لكونها ليست متزوجة ، ومن ذلك أن رَجُلا مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ النَّجَّارُ ، وَكَانَ ابْنَ خَالِهَا ، تَعَجَّبَ مِنْ حملها عَجَبًا شَدِيدًا ، وَذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ دِيَانَتِهَا وَنَزَاهَتِهَا وَعِبَادَتِهَا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرَاهَا حُبْلَى وَلَيْسَ لَهَا زَوْجٌ ، فَعَرَّضَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ: يَا مَرْيَمُ هَلْ يَكُونُ زَرْعٌ مِنْ غَيْرِ بَذْر؟!

قَالَتْ: نَعَمْ ، فَمَنْ خَلَقَ الزَّرْعَ الْأَوَّل؟!

---

[١] الدرع هو القميص. انظر «النهاية».

[٢] الذي يُصَدق أن الماء الذي يخرج من فرج الذَّكَر إلى فرج المرأة يتحول إلى إنسان آخر يسمع ويبصر ويمشي ؛ ليس صعبا عليه أن يُصدق بأن الله يخلق من النفخة ، لأن كلا الأمرين فوق قدرة البشر ، ولا يقدر عليهما إلا الرب وحده.

ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ شَجَرٌ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ وَلَا مَطَر؟!

قَالَتْ: نَعَمْ ، فَمَنْ خَلَقَ الشَّجَرَ الْأَوَّل؟!

ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ ذَكَر؟!

قَالَتْ: نَعَمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى.

قَالَ لَهَا: فَأَخْبِرِينِي خَبَرَكِ.

فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ بَشَّرَنِي {بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِين * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِين}[1].

وَيُرْوَى مِثْلُ هَذَا عَنْ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ سَأَلَهَا فَأَجَابَتْهُ بِمِثْلِ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فالحاصل أن مريم حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَمَا تَحْمِلُ النِّسَاءُ وَيَضَعْنَ لِمِيقَاتِ حَمْلِهِنَّ وَوَضْعِهِنَّ ، إِذْ لَوْ كَانَ حملها خِلَافَ ذَلِكَ لَذُكِرَ ، {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} أَيْ: فَأَلْجَأَهَا وَاضْطَرَّهَا الطَّلْقُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، {قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} ، وَذَلِكَ أَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ النَّاسَ يَتَّهِمُونَهَا وَلَا يُصَدِّقُونَهَا ، بَلْ يُكَذِّبُونَهَا حِينَ تَأْتِيهِمْ بِغُلَامٍ عَلَى يَدِهَا ، مَعَ أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ ، الْمُجَاوِرَاتِ فِي الْمَسْجِدِ ، الْمُنْقَطِعَاتِ إِلَيْهِ ، الْمُعْتَكِفَاتِ فِيهِ ، وَمِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَالدِّيَانَةِ ، فحصل لها مِنَ الْهَمِّ مَا تَمَنَّتْ أنها مَاتَتْ قَبْلَ هَذَا الْحَالِ أَوْ كَانَتْ نَسْيًا مَنْسِيًّا ، أَيْ: لَمْ تُخْلَقْ بِالْكُلِّيَّةِ.

[1] سورة آلِ عِمْرَان: ٤٥ – ٤٦ .

أقول: وهذا دليل على محافظتها على شرفها وعِفَّـتها ، وليس يشبهها أحد من النساء في الوقت الحاضر إلا النساء المسلمات ، لأن المرأة المسلمة الصادقة في إسلامها تأبى عمل علاقة جنسية إلا مع زوجها ، وما سوى ذلك فيسمى زنا ، والزنا من كبائر الذنوب ، ومن أسباب انتشار الأمراض الجنسية ، واختلاط الأنساب ، وابتذال مكانة المرأة في المجتمع إذ صارت وسيلة لقضاء الشهوة ، تتقلب بين أحضان الرجال من فراش إلى فراش طيلة فترة شبابها ، ثم إذا كبر سنها وذهب جمالها هجرها من كان يستمتع بها ، وصارت عالةً على المجتمع ، ولهذا حرم الإسلام الزنا ، وكذلك جميع الشرائع السماوية التي جاء بها الأنبياء ، ومن العجيب أن الممارسات الجنسية بين من يوصفن بالراهبات وبين القساوسة منتشرة جدا ، وفي الكنائس ، فأيُّ تمسك بدين المسيح هذا؟[1]

وَقَوْلُهُ: {فناداها من تحتها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} ، تمت الولادة وخرج المسيح من بطن أمه ، وسمع كلام أمه ، فكلمها قائلا: لا تحزني ، قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا وهو النَّهْرُ ، اشربي منه كما تريدين.

{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} ، أي كلي من الرطب ، فَذَكَرَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ[2]: (لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا لِلنُّفَسَاءِ مِنَ التَّمْرِ وَالرُّطَبِ) ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: {فكلي واشربي وقَرِّي عينا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ للرحمٰن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} ، في هذه الآية بيان شيء من بِرِّ المسيح بأمه في أول حياته ، حيث أنه طمأنها فقال لها

[1] ينبغي التنبه إلى أن شريعة المسيح الحقيقية قد اضمحلت مع اضمحلال التوراة والإنجيل الأصليين ، وقد حلت محلها شريعة الإسلام ، وحفظها الله من التحريف والتبديل ، وصارت هي الوحي الرباني المعتبر إلى يوم القيامة.

[2] هو أحد الثقات العباد ، له ترجمة في كتاب «تقريب التهذيب».

{قَرِّي عينا} ، أي كوني قريرة العين مطمئنة ، وأرشدها فقال لها إِنْ رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فَقَوْلِي لَهُ عن طريقَ الْإِشَارَةِ: {إِنِّي نَذَرْتُ للرحمٰن صَوْمًا فلن أكلم اليوم إنسيا} أَيْ: إني نذرت أن أصوم فلا أكلم الناس ، وَكَانَ مِنْ صَوْمِهِمْ فِي شَرِيعَتِهِمْ الصمت ، وترك وَالطَّعَامِ أيضا.

وأَمَّا فِي شريعة الإسلام فليس من الصوم صَمْتُ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ ، بل الإمساك عن الشراب والطعام والجماع فقط.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّا} ، لَمَّا رأى الناس مريم تَحْمِلُ مَعَهَا وَلَدَهَا {قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} ، والْفِرْيَةُ هِيَ الْفِعْلَةُ الْمُنْكَرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ.

ثُمَّ قَالُوا لَهَا: {يَا أُخْتَ هَارُونَ} ، قد وَرَدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَدْ كَانَ لَهَا أَخٌ اسْمُهُ هَارُون ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْخَيْر ، وكانوا يكثرون التسمية بهارون لأنهم كَانُوا يُسَمُّونَ أبناءهم بأسماءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ[1] ، وقد كان هناك رجالٌ كثير صالحون يتسمَّون بهارون ، منهم هارون أخو موسى ، وبينه وبين عهد المسيح قرون عدة.

قَالُوا: {مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} ، أَيْ: لَسْتِ مِنْ بَيْتٍ شِيمَتُهُمْ ارتكاب الزنى ، لَا أَخُوكِ وَلَا أُمُّكِ وَلَا أَبُوكِ ، فَاتَّهَمُوهَا بالبِغاء ، وهو ارتكاب الزنى ، الذي هو الْفَاحِشَةِ الْعُظْمَى ، والدَّاهِيَةِ الدَّهْيَاءِ ، وممن ألصقوا به فعل الفاحشة بها النبي زكريا ، فهو الكفيل لها كما تقدم ، فَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي كتابه «تَارِيخِ الأمم والملوك» أَنَّهُمُ اتَّهَمُوا بِهَا زَكَرِيَّا ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَفَرَّ مِنْهُمْ فَلَحِقُوهُ وَقَدِ

[1] جاء هٰذان الخبران في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (٢١٣٥) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

انْشَقَّتْ لَهُ الشَّجَرَةُ فَدَخَلَهَا ، وَأَمْسَكَ إِبْلِيسُ بِطَرَفِ رِدَائِهِ فَنَشَرُوهُ فِيهَا. وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنِ اتَّهَمَهَا بِابْنِ خَالِهَا يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ النَّجَّارِ ، والله المستعان.

الحاصل أنه لَمَّا ضَاقَ الْحَالُ بمريم {أَشَارَتْ إِلَيْهِ} أَيْ: أشارت إليه أن خَاطِبُوهُ وَكَلِّمُوهُ وخذوا منه الخبر ، فَإِنَّ جَوَابَكُمْ عنده ، لأنها صائمة عن الكلام كما تقدم ، فَعِنْدَهَا قَالَ بعضهم: {كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} أَيْ: كَيْفَ تُحِيلِينَنَا فِي الْجَوَابِ عَلَى صَبِيٍّ رَضِيعٍ في المهد لَا يَعْقِلُ الْخِطَابَ ، مَا هَذَا مِنْكِ يا مريم إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ بِنَا وَالِاسْتِهْزَاءِ ، وَالتَّنَقُّصِ لَنَا وَالِازْدِرَاءِ ، إِذْ لَا تَرُدِّينَ عَلَيْنَا قَوْلًا نُطْقِيًّا ، بَلْ تُحِيلِينَ فِي الْجَوَابِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، فَعِنْدَهَا تكلم عيسى وقال {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} ، هَذَا أَوَّلُ كَلَامٍ تَفَوَّهَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ {إِنِّي عَبْدُ اللَّه} ، ففي هذا اعْتَرَافَ عيسى لِرَبِّهِ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ ، فَنَزَّهَ جَنَابَ اللَّهِ عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، وأنه إله ، وأنه رب ، وأثبت وأقرَّ بأنه عَبْدُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَابْنُ أَمَتِهِ[1] ، ثُمَّ بَرَّأَ أُمَّهُ مِمَّا نَسَبَهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ ، وَقَذَفُوهَا بِهِ وَرَمَوْهَا بالفاحشة بِسَبَبِهِ وهم اليهود فقال: {آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْطِي النُّبُوَّةَ مَنْ كان ابن زنا كَمَا زَعَمُوا ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَقَبَّحَهُمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عنهم: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} ، وَذَلِكَ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ قَالُوا إِنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ زِنًا فِي زَمَنِ

[1] أَمَتُهُ أي ملوكته ، وكل الناس مملوكين لله ، وكذلك كل ما في السماوات والأرض فهو مملوك لله سبحانه وتعالى ، كما قال الله تعالى ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض﴾.

الْحَيْضِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَ عَنْهَا أَنَّهَا صِدِّيقَةٌ[١] ، كما في قوله تعالى ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة﴾ ، أي: صَدَّقت بكلام الله وأوامره التي أنزلها على أنبياءه تصديقًا جازمًا ، وعملت بما أمرها الله فيها ، فوافق عملها علمها ، فلم يبدر منها ما يخالف الشريعة ، وَاتَّخَذَ وَلَدَهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا ، أَحَدَ أُولِي الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ الْكِبَارِ من الرسل ، وَلِهَذَا قَالَ: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} وَذَلِكَ أَنَّهُ حَيْثُ كَانَ فقد كان يدعو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، ويُنَزِّه جَنَابَهُ عَنِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ والحاجة كاتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، تَعَالَى وَتَقَدَّس.

ثم قال المسيح لهم: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} ، وَهَذِهِ وَظِيفَةُ الْعَبِيدِ تجاه ربهم ومولاهم فِي الْقِيَامِ بِحَقِّ الله الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، وأداءِ الصَّلَاةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلِيقَةِ بِالزَّكَاةِ ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى طَهَارَةِ النُّفُوسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ بِالْعَطِيَّةِ للفقراء والمحتاجين ، عَلَى اخْتِلَافِ الْأَصْنَافِ ، وإكرام الْأَضْيَافِ ، وَالنَّفَقَاتِ عَلَى الزَّوْجَاتِ ، وَالْقَرَابَاتِ ، وَسَائِرِ وُجُوهِ الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبَات.

ثمَّ قَالَ: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} أَيْ: وَجَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَأَكَّدَ حَقُّهَا عَلَيْهِ ، إِذْ لَا وَالِدَ لَهُ سِوَاهَا ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ ، وَأَعْطَى كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا.

{وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} أَيْ: لَسْتُ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنِّي قَوْلٌ وَلَا فِعْلٌ يُنَافِي أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ.

---

[١] معنى صِدِّيقةٌ أي أنها صَدَّقت بكلام الله وأوامره التي أنزلها على أنبياءه تصديقًا جازمًا ، وعمِلت بما أمرها الله فيها ، فوافق عملها علمها ، فلم يبدر منها ما يخالف الشريعة.

{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} ، معنى السلام أي الأمان والسلامة ، فيكون معنى السياق هو السلامة من الشيطان ومن شرور الناس في هذه الأحوال الثلاثة ، حين ولادته لما سلَّمه الله من نخس الشيطان ، وحين الموت ، وحين البعث يوم القيامة ، فيكون سالما من النار ومن فزع يوم القيامة ، وأنه من أهل الجنة دار السلام.

فلما قال المسيح وهو في مهده مقالته زال الشك عنهم ، والحمد لله.[١]

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّتَهُ ، وَبَيَّنَ أَمْرَهُ وَوَضَّحَهُ وَشَرَحَهُ ، قَالَ: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} ، فقوله {يمترون} أي يتجادلون ويتخاصمون ، وهذا هو الواقع ، فالنصارى (المسيحيون) منذ أن رفع الله المسيح إلى السماء وهم في اضطراب واختلاف في حقيقته وحقيقة أمه مريم ، وانقسموا إلى فرق وطوائف اختلفت في ماهِـيَّةِ المسيح ومكانة أمه ، قال ابن كثير رحمه الله في كتابه «تفسير القرآن العظيم»: "فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تَفَرَّقت أصحابه شِـيَعًا[٢] بعده ، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله ، وابنُ أَمَـتِهِ[٣] ، ومنهم من غلا[٤] فيه فجعله ابن الله ، وآخرون قالوا: هو الله ، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة ، وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن ، ورَدَّ على كل فريق". انتهى كلامه رحمه الله.[٥]

---

[١] ولكن بعد بعثة الـمسيح نبيا وهو في سن الثلاثين حسده اليهود على نبوته ، فقالوا عنه قولا عظيما ، قالوا إنه ابن زنا ، وأن أمه زنت مع يوسف النجار ابن خالتها ، فبرأها الله من ذلك في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

[٢] أي طوائف وفِرق.

[٣] الأمّة هي المملوكة ، يقابلها العبد وهو المملوك ، والمقصود أنه المسيح وأمه مريم كلهم عبيد مملوكين لله ، كغيرهم من البشر ، ليس لهم شيء من خصائص الألوهية والربوبية.

[٤] غلا فيه أي عظَّمه فوق الحد المشروع.

[٥] تفسير سورة آل عمران: الآية ٥٥ .

وصدق رحمه الله فقد رد الله عليهم بقوله {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ فَيَكُون** * وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم} ، أَيْ إن الله لَا يُعْجِزُهُ خلقُ ولدٍ بلا أب ، بَلْ هُوَ الْقَدِيرُ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ سبحانه وتعالى.

وهذا كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّتِهِ فِي سورة آلِ عِمْرَانَ: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيم * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ **كُنْ فَيَكُون** * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِين * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِين * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إله إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِين}[1].

ثم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} أَيْ: فَاخْتَلَفَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِيهِ ، فَمِنْ قَائِلٍ مِنَ الْيَهُودِ: إِنَّهُ وَلَدُ زَنْيَةٍ ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ إلى يومنا هذا ، وَقَابَلَهُمْ آخَــرُونَ فِي الْكُفْرِ فَقَالُوا: هُوَ اللَّهُ ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ المستقيمون على العقيدة الصحيحة – وهم المسلمون الذين تعلموا حقيقة المسيح من الكتاب المقدس المحفوظ من التحريف والتبديل وهو القرآن – قالوا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ ، والمقصود بكلمته أي (كن) ، أي (كن عيسى) ، أَلْقَاهَا الله إِلَى مَرْيَمَ فكان عيسى في بطن أمه ، كذلك فإن عيسى رُوحٌ من الله ، أي أن روح المسيح مبتدؤها من عند الله فهو خالقها ، كروح

[1] سورة آل عمران: ٥٨ — ٦٣ .

غيره من الناس ، وقد خصَّ الله المسيح بالذِّكر في القرآن في أنه روحٌ ليبين للناس أن روحه مخلوقة ، ومن كانت روحه مخلوقة فإنه ليس ربا، لأن الرب لا يكون مخلوقا بل خالقا.

والقائلون بأن المسيح بشر رسول هُمُ النَّاجُونَ الْمُثَابُونَ ، الْمُؤَيَّدُونَ الْمَنْصُورُونَ ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ فيها فَهُمُ الْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ ، الضَّالُّونَ الْجَاهِلُونَ ، لأنهم في الحقيقة قد خالفوا القرآن الذي هو كلام الله المُنَزَّل على نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) ، وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، بِقَوْلِهِ: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.

والإيمان بالمسيح على هذا النحو هو الإيمان المقبول ، فمن لم يحصل منه ذلك فقد خالف أمر الرب وعصاه وكفر به ، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنِ النَّبِيِّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إله إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[١].

وفي رواية: ... أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء.[٢]

ومن باب الفائدة فقد جاء ذكر المسيح في القرآن ٢٥ مرة ، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات ، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل ، ولكن هذا الاحترام والتعظيم هو بالقدر اللائق بالأنبياء ، فلا يتضمن اعتقاد أن له شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية ، بل هو بشر مثلنا ، ليس له من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء ، فهو يعبد الله كما نعبده نحن ، ويرجوه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن ، إلا أن الله شرفه بالنبوة ، وأنزل عليه الإنجيل ، وأرسله إلى أمة عظيمة وهي بني إسرائيل.

---

[١] رواه البخاري (٣٤٣٥).

[٢] رواه مسلم (٢٨).

ليس هذا فحسب ، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أولي العزم من الرسل ، والعزم أي الصبر والحزم.

وأولي العزم من الرسل هم أعظم الرسل ، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) ، صلوات الله عليهم جميعا.

خاطرة لطيفة

وصلتني رسالة من أحد القساوسة الصادقين في البحث عن الحق ، يتكلم فيها عن موضوع:

كيف يمكن أن يكون يسوع المسيح هو الله وإنساناً في نفس الوقت؟

فأجبته بالرسالة التالية:

لا يمكن أن يكون المسيح هو الله ، وقد خرج من رحم أمه ، وتقلب في بطنها ، وأرضعته من ثديها ، ولفَّته في مِهاده ، لأن هذه صفة طفل رضيع محتاج للناس أن يقوموا برعايته ، أما الله فهو غني عن البشر ، لأنه خالقهم ورازقهم.

ثم إن أصحاب هذا الكلام متناقضون في كلامهم ، مرة يقولون هو الله ، ومرة يقولون إنه ابن الله ، ومرة يقولون إنه ثالث ثلاثة ، لأن تصورهم غلط من الاصل ، لكونهم معرضين عن كلام الله وهو القرآن ، ومستندين إلى كتب كتبها بشر وسموها الإنجيل فلهذا صاروا متناقضين.

فرد علي هذا القسيس قائلا:

للحق تعليقك واقعي ومقنع ، وحقا كان المسيح طفلا صغيرا كمثل أي طفل أخر ، وُلِد من بطن أمه ، ويحتاج للرعاية ، ولهذا لا يجب مني التنكر لما قلته.

انتهى بحمد الله المقال الثاني «قصة ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم»

ويليه المقال الثالث بعنوان:

{إثباتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْوَلَد}

وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين

{إثباتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ اتخاذ الْوَلَدِ والزوجة}

قَالَ الله تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ مريم: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرحمٰن وَلَدا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا}[١] ، أَيْ شَيْئًا عَظِيمًا ، وَمُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورا.

ثم قال بعدها: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا للرحمٰن وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي للرحمٰن أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرحمٰن عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}[٢] ، فَبَيِّنٌ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْبَغِي لَهُ الْوَلَدُ ، لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ ، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَدَيْهِ ، وَجَمِيعُ سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبِيدُهُ ، وَهُوَ رَبُّهُمْ لَا إله إِلَّا هُوَ ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إله إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل * لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير}[٣].

فَبَيَّنَ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ، وَالْوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ ومتطابقين في الذات ، ومن جنس واحد؟!

---

[١] سورة مريم: ٨٨ — ٨٩ .

[٢] سورة مريم: ٩٠ — ٩٥ .

[٣] سورة الأنعام: ١٠٠ — ١٠٣ .

وَاللَّهُ تَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ ، وَلَا عَدِيلَ لَهُ ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ ، فَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد * اللَّهُ الصَّمَد * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[١] ، وَهُوَ السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ.

وقوله عن نفسه {لَمْ يَلِدْ} أَيْ: لَمْ يُوجَدْ مِنْهُ وَلَدٌ.

وقوله {وَلَمْ يُولَدْ} أَيْ: وَلَمْ يَتَوَلَّدْ عَنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ.

وقوله {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد} أَيْ: وَلَيْسَ لَهُ عِدْلٌ وَلَا مُكَافِئٌ وَلَا مُسَاوٍ ، فَقَطَعَ النَّظِيرَ القريب وَالْأَعْلَى وَالْمُسَاوِي ، فَانْتَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، إِذْ لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مُتَوَلِّدًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}[٢].

---

[١] سورة الإخلاص.

[٢] سورة النساء: ١٧١ – ١٧٣ .

يَنْهَى الله تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ وَمَنْ شَابَهَهُمْ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ فِي الدِّينِ ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ ، فَالنَّصَارَى[١] غَلَوْا وَأَطْرَوُا الْمَسِيحَ حَتَّى جَاوَزُوا الْحَدَّ ، فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَابْنُ أَمَتِهِ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ[٢] ، الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ، فَبَعَثَ اللَّهُ الْمَلَكَ جِبْرِيلَ إِلَيْهَا ، فَنَفَخَ فِيهَا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ نَفْخَةً ، ثم قال الله كلمة ﴿كن﴾ ، فكان عيسى في بطن أمه ، فهذه هي الكلمة **الَّتِي عَنْهَا خُلِقَ** المسيح ، وَبِسَبَبِهَا وُجِدَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُون * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٤].

فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ادَّعَوْا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَدًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا زَعَمُوهُ إِلَّا مُجَرَّدُ الْقَوْلِ وَمُشَابَهَةُ مَنْ سَبَقَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ الضَّالَّةِ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَهَكَذَا طَوَائِفُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ، زَعَمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ صَاهَرَ سَرَوَاتِ الْجِنِّ[٥] فَتَوَلَّدَ مِنْهُمَا الْمَلَائِكَةُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ ، وَتَنَزَّهَ عَمَّا

---

[١] النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين ، وهم أتباع عيسى ابن مريم ، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين ، وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة ، وهي صفة مدح وثناء.

[٢] البتول أي المنقطعة عن الرجال. انظر «النهاية».

[٣] سورة آل عمران: ٥٩ .

[٤] سورة البقرة: ١١٦ – ١١٧ .

[٥] سروات الجن أي أشرافهم. انظر «النهاية».

يُشْرِكُون ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرحمٰن إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[١].

وَقَالَ الله تَعَالَى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُون * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُون * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُون * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِين * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون * أَفَلَا تَذَكَّرُون * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِين * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُون * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِين}[٢].

وَقَالَ الله تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرحمٰن وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُون * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُون * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين}[٣].

وَقَالَ الله تَعَالَى: {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُون * قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُون * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُون}[٤].

فَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ تَشْمَلُ الرَّدَّ عَلَى سَائِرِ فِرَقِ الْكَفَرَةِ ، مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، الَّذِينَ ادَّعَوْا وَزَعَمُوا بِلَا عِلْمٍ ، أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُون عُلُوًّا كَبِيرًا.

---

[١] سورة الزخرف: ١٩ .

[٢] سورة الصَّافَّات: ١٤٩ – ١٦٠ .

[٣] سورة الأنبياء: ٢٦ – ٢٩ .

[٤] سورة يُونُس: ٦٨ – ٧٠ .

وَلَمَّا كَانَتِ النَّصَارَى **مِنْ أَشْهَرِ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ ، ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ ، وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ ، وَكَثْرَةِ جَهْلِهِمْ ، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاطِلَ كَثِيرُ التَّشَعُّبِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرِبُ** ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرا}[1] ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ يَتَّحِدُ وَيَتَّفِقُ ، وَالْبَاطِلَ يَخْتَلِفُ وَيَضْطَرِبُ ، فَطَائِفَةٌ مِنْ ضُلَّالِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ ، تَعَالَى اللَّهُ ، وَطَائِفَةٌ قَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، عَزَّ اللَّهُ ، وَطَائِفَةٌ قَالُوا: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، جَلَّ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ «الْمَائِدَة»: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[2].

فَأَخْبَرَ تَعَالَى فِي هذه الآية عَنْ كفر النصارى وَجَهْلِهِمْ إذ قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وردَّ عليهم قولهم بجواب عقلي منطقي ، وهو: لو كان المسيح إلـهًا لقَدِرَ المسيح أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أُمِّه ومَن في الأرض جميعًا ، والمقصود بالهلاك هنا هو الموت ، وقد ماتت أم المسيح فلم يدفع عنها الموت ، ولم تدفع هي عن نفسها الموت ، فدل ذلك على أنه ليس هو الله ، بل الله هو الله ، والمسيح هو المسيح ، كل واحد منهما له ذات مختلفة عن الآخر ، وأن المسيح وأمه بشر كسائر البشر ، لا يقدران على دفع الهلاك عن نفسيهما ، وجميع الموجودات في السماوات والأرض من مخلوقات الله ، فالكون كله لله ، والخلق بيده وحده ، يخلق سبحانه ما يشاء ، ويفعل ما يريد.

---

[1] سورة النساء: ٨٢ .

[2] سورة المائدة: ١٧ .

وَقَالَ الله تعالى فِي أَوَاخِرِ سورة المائدة: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَار * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون}[١].

حَكَمَ الله تَعَالَى في هذه الآيات بِكُفْرِ النصارى شَرْعًا وَقَدَرًا ، وَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا صَدَرَ مِنْهُمْ ، مَعَ أَنَّ رسولهم ، وَهُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، قد بيَّـن لهم أنه عبدٌ لله ، بشر ، مخلوق ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، دَاعٍ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ بِالنَّارِ ، وَعَدَمِ الْفَوْزِ بِدَارِ الْقَرَارِ ، وَالْخِزْيِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْهَوَانِ وَالْعَارِ ، توعدهم بذلك على اختلاف طوائفهم ، سواء الذين قالوا {إن الله هو المسيح ابن مريم} ، أو الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، فقال الله متوعدا لجميع هؤلاء: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَار}.

ثم قال الله {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِد} ، أَيْ: وَمَا مِنْ إِلهٍ حقٍّ إِلَّا اللَّهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ ، وَلَا كُفْءَ لَهُ ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَد.

ثُمَّ تَوَعَدَهُمْ وَتَهَدَّدَهُمْ فَقَالَ: {وَإِنْ لَـمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

[١] سورة المائدة: ٧٢ – ٧٥ .

ثُمَّ دَعَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْكِبَارِ ، وَالْعَظَائِمِ الَّتِي تُوجِبُ النَّارَ ، فَقَالَ: {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم} ، ثُمَّ بَيَّنَ حَالَ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ رَسُولٌ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ، أَيْ لَيْسَتْ بِفَاجِرَةٍ ، كَمَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

وَأما قَوْلُهُ: {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} كِنَايَةٌ عَنْ خُرُوجِهِ مِنْهُمَا ، كَمَا يَخْرُجُ مِنْ غَيْرِهِمَا من البشر ، أَيْ: وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ ، كَيْفَ يَكُونُ إلها ؟! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ وَجَهْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وقال بعض المفسرين: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَة} زَعْمُهُمْ فِي عِيسَى وَأُمِّهِ أَنَّهُمَا إلهان مَعَ اللَّهِ ، وهذا كَمَا بَيَّنَه فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إلهين مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوب * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1].

يُخْبِرُ تَعَالَى فِي هذه الآيات أَنَّهُ سيَسْأَلُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ لَهُ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ لِعَابِدِيهِ ، مِمَّنْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى وَزَعَمَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، أَوْ أَنَّهُ اللَّهُ ، أَوْ أَنَّهُ شَرِيكُهُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ ، فَيَسْأَلُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا يَسْأَلُهُ عَنْهُ ، وَلَكِنْ لِتَوْبِيخِ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ لَهُ: {ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إلهين مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ} ، أَيْ: تَعَالَيْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ شَرِيكٌ.

---

[1] سورة المائدة: ١١٦ – ١١٨ .

{مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَق} ، أَيْ: لَيْسَ من حقي ولا حق غيري أن أقول للناس اتخذوا غير الله إلٰها.

{إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوب} ، وَهَذَا تَأَدُّبٌ عَظِيمٌ فِي الْخِطَابِ وَالْجَوَابِ.

{مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} ، حِينَ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْهِمْ ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيَّ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ فَسَّرَ مَا قَالَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} ، أَيْ خَالِقِي وَخَالِقُكُمْ ، وَرَازِقِي وَرَازِقُكُمْ.

{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} ، أَيْ: رَفَعْتَنِي إِلَيْكَ حِينَ أَرَادُوا قَتْلِي وَصَلْبِي ، فَرَحِمْتَنِي وَخَلَّصْتَنِي مِنْهُمْ ، وَأَلْقَيْتَ شَبَهِي عَلَى أَحَدِهِمْ ، حَتَّى انْتَقَمُوا مِنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِك {كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}.

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كَانَ للرحمٰن وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِين * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون}[1] ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرا}[2] ، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَد * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد}.

[1] سورة الزُّخْرُف: ٨١ – ٨٢ .

[2] سورة الإسراء: ١١١ .

وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «قال اللَّهُ: كذَّبني ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وشَتَمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله (لي ولد) ، فسُبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا».[١]

قوله (سبحاني) أي أنَزِّهُ نفسي عن اتخاذ الصاحبة – وهي الزوجة – والولد ، لأن الاحتياج إلى الصاحبة والولد من صفات النقص في حق الله ، وهي لا تليق إلا بالمخلوق البشري ، أما الخالق – وهو الله – فهو غني عن العالَمين.

وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يسمعه مِنَ اللَّهِ عز وجل ، إنه يُشركُ به ، ويُجْعَلُ له الولد ، ثم هو يُعَافِيهِمْ ويَرْزُقُهُمْ».[٢]

وَلَكِنْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد}[٣].

وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِير}[٤].

وَقَالَ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظ}[٥].

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُون * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُون}[١].

---

[١] رواه البخاري (٤٤٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٢] رواه البخاري (٧٣٧٨) ومسلم (٢٨٠٤) واللفظ له ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[٣] سورة هود: ١٠٢ .

[٤] سورة الحج: ٤٨ .

[٥] سورة لقمان: ٢٤ .

وقال تعالى {فَـمَـهِّل الكافرين أمهلهم رويدا}[٢].

فالواجب على من بلغته هذه الآيات وهذا البيان من الله أن ينتهي عن مقولة إن لله ولدا ، وإلا عرَّض نفسه لتهديد الله له بالعقوبة البليغة كما جاء في الآيات المتقدمة ، والعذاب الأليم يوم القيامة ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

---

[١] سورة يونس: ٦٩ – ٧٠ .

[٢] سورة الطَّارِق: ١٧ .

همسة في أذُن عاقل

- إن قول النصارى أن الله اتخذ صاحبة وهي مريم قولٌ مخالف للعقل ، لأنه يلزم منه أن الرب محتاج إليها ، مع أنه هو الذي خلقها بنفسه وخلق كل العالم!

هذا القول لا يستطيع الإنسان ذو الثقافة العادية أن يقتنع به إلا إذا عاند عقله وقلبه وإحساسه ، لأن الله هو الذي خلق البشر ورزقهم ، فكيف يكون محتاجا إليهم؟!

- ثم إن الله لو أراد أن يتخذ ولدا لاتخذ أولادا كثيرين – كما هي عادة الأغنياء – وليس ولدا واحدا ...

وصف الله باتخاذ الولد يتضمن التنقص والتقليل من قدر الله سبحانه وتعالى ، فضلا عن كونه لا يصح في العقول المستقيمة ولا في الفِطَر السليمة ، بل الله واحد أحد ، لم يلد ولم يولـــد ، ولم يكن له كفوا أحد ، كما أخبر الله عن نفسه في كتابه المقدس المحفوظ منذ أربعة عشر قرنا ، وهو (القرآن).

فالله ليس له ابن ولا زوجة ولا أب ولا عم ولا خال ، والذي يتـــصف بهذه الصفات هم المخلوقون مثلي ومثلك ، وليس الخالق ، وهو الله عزَّ وجل ...

- كذلك فلو أن المسيح هو ابن الله حقا ، كما هو مقرر في المسيحية المعاصرة ، فلماذا لم يدافع عنه لما تعرض للصلب والقتل والبصق في وجهه ، ثم الموت ثلاثة أيام – بزعمهم ...

إن الشخص العادي إذا تعرض ابنه لمثل هذه الإهانة الفظيعة فإنه ستقوم قائمته ويبطش بمن أهان ابنه ، فكيف لم يحصل هذا من الله (لو كانت قصة الصلب حقيقة وليست خرافة) ، وهو القوي ، الذي خلق الكون كله ، ويدبر الكون بيده ...

هذا لا يصح في العقول ولا في المنطق ، حتى الشخص المسيحي لو فكر في قرارة نفسه باستقلاليةِ تفكيرٍ وتركِ تقليدِ المجتمع جانبا فإنه لن يقبل هذا في داخله ، ولكن بسبب تقليد المجتمع أو الخوف من التعذيب في غرف الكنيسة هو يعتقد هذا ...

ولو أنه قرأ القرآن (الكتاب المقدس في دين الإسلام) لتبينت له الحقيقة ، فإن الله رحيم بعباده ، لم يتركهم هكذا بدون دلالة وإرشاد ، فإنما لما تحرف دين المسيح بعد رفعه إلى السماء أرسل نبيه محمدا ، وأنزل عليه القرآن ليكون كتاب هداية وإرشاد للناس كلهم ، وبين فيه أن المسيح لم يُصلب ولم يقتل ولم

يُهان ، بل رفعه الله إليه قبل أن يمسه الأذى ، نعم ، رفعه الله إليه في معجزة سماوية ربانية لم تحصل لنبي قبله ، وحمى نبيه العظيم من الإهانة والقتل ، وهذا هو الموافق للعقل ، واللائق بقدر المسيح ومكانته ، بأن يرسله الله إلى بني إسرائيل ثم يحميه من الإهانة والأذى بحوله وقوته ، لأنه قوي غالب ، فالحمد لله على نعمة القرآن ، ونعمة وضوح الحق والوصول إليه ...

خاتمة لطيفة

قال الله تعالى في الكتاب المقدس «القرآن الكريم»:

﴿قل هو الله أحد * الله الصَّمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾

تفسير الآيات الكريمات:

﴿قل﴾ ، المخاطَب هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول الله له: قل أيها الرسول لكل الناس.

﴿هو الله أحد﴾: أي هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، لا يشاركه أحد فيها.

﴿الله الصمد﴾: أي الذي تصمد له جميع الخلائق وتطلب منه حاجاتها.

﴿لم يلد ولم يولد﴾: أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة ، لأن هذه صفات المخلوقين ، أما الله فلا يشبهه شيء ، وليس كمثله شيء ، وهو أعلم بنفسه من غيره.

﴿ولم يكن له كُفوا أحد﴾: أي ليس له مُماثل ولا شبيه ، لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ، تبارك وتعالى وتقدَّس.

انتهى بحمد الله المقال الثالث ويليه المقال الرابع بعنوان:

{ ذكر شيء من دلائل نبوة النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم}

وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين

{ذكر شيء من دلائل نبوة النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم}

الآية الأولى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِين: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِين * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون}[1].

يُذَكِّرُ الله تَعَالَى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فِي جَعْلِهِ لَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَدَلَالَةً عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى ، ثُمَّ إِرْسَالِهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّه.

ثم قال {وَعَلَى وَالِدَتِكَ} فِي اصْطِفَائِهَا وَاخْتِيَارِهَا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَإِقَامَةِ الْبُرْهَانِ عَلَى بَرَاءَتِهَا مِمَّا نَسَبَهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ ، وَلِهَذَا قَالَ: {إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} أي قَـوَّيتك بروح القدس وَهُوَ جِبْرِيلُ ، بِإِلْقَاءِ رُوحِهِ إِلَى أُمِّهِ ، وَقَرْنِهِ مَعَهُ فِي حَالِ رِسَالَتِهِ ، وَمُدَافَعَتِهِ عَنْهُ لِمَنْ كَفَرَ بِه.

{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} ، أَيْ: تَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ فِي حَالِ صِغَرِكَ فِي مَهْدِكَ وَفِي كُهُولَتِك.

{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أَيِ الْخَطَّ وَالْفَهْمَ ، نَصَّ عَلَيْهِ بَعْضُ السَّلَفِ[2] ، {وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} ، أي وعلَّمتُـك التوراة والإنجيل.

وَقَوْلُهُ {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي} ، أَيْ: تُصَوِّرُهُ وَتُشَكِّلُهُ مِنَ الطِّينِ عَلَى هَيْئَتِهِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِك.

{فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي} ، أَيْ: بِأَمْرِي ، يُؤَكِّدُ تَعَالَى بِذِكْرِ الْإِذْنِ لَهُ فِي ذَلِكَ {بإذني} ، لِرَفْعِ التَّوَهُّمِ أنَّ هذا كان بأمر المسيح.

وَقَوْلُهُ: {وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ} ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: وَهُوَ الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَمَاءِ إِلَى مُدَاوَاتِهِ ، {وَالْأَبْرَصَ} ، وَهُوَ الَّذِي لَا طِبَّ فِيهِ ، بَلْ قَدْ مَرِضَ بِالْبَرَصِ وَصَارَ دَاؤُهُ عُضَالًا.

{وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى} ، أَيْ تخرجهم مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً بِإِذْنِي.

---

[1] سورة الْمَائِدَة: ١١٠ – ١١١ .

[2] السلف هم متقدمو هذه الأمة ، أمة محمد ، من العلماء المستقيمين على الشريعة ، من أصحابه وأتباعهم بإحسان ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى التي جاءت بعد بعثته ، صلى الله عليه وسلم.

وَقَوْلُهُ: {وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} ، وَذَلِكَ حِينَ أَرَادُوا صَلْبَهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْقَذَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، صِيَانَةً لِجَنَابِهِ الْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ، وَسَلَامَةً لَهُ مِنَ الرَّدَى.

وَقَوْلُهُ: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} ، قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَا الْوَحْيِ وَحْيُ إِلْهَامٍ أَرْشَدَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ.

وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، أَنْ جَعَلَ لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا يَنْصُرُونَهُ وَيَدْعُونَ مَعَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِين * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1].

الآية الثانية

قال الله تعالى {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيل * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُون * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}[2].

كَانَتْ مُعْجِزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ فِي زَمَانِهِ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، فمُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَتْ مُعْجِزَتُهُ مِمَّا يُنَاسِبُ أَهْلَ زَمَانِهِ ، فَكَانُوا سَحَرَةً أَذْكِيَاءَ ، فَبُعِثَ بِآيَاتٍ بَهَرَتِ الْأَبْصَارَ ، وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ ، وَلَمَّا كَانَ السَّحَرَةُ خَبِيرِينَ بِفُنُونِ السِّحْرِ وَمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَعَايَنُوا مَا عَايَنُوا مِنَ الْأَمْرِ الْبَاهِرِ الْهَائِلِ ، الَّذِي لَا يُمْكِنُ صُدُورُهُ إِلَّا مِمَّنْ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى الْخَارِقَ عَلَى يَدَيْهِ تَصْدِيقًا لَهُ ، أَسْلَمُوا سِرَاعًا ، وَلَمْ يَتَلَعْثَمُوا.

---

[1] سورة الأنفال: ٦٢ – ٦٣ .

[2] سورة آل عمران: ٤٨ – ٥٤ .

وَهَكَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، بُعِثَ فِي زَمَنِ الطَّبَائِعِيَّةِ الْحُكَمَاءِ[١] ، فَأُرْسِلَ بِمُعْجِزَاتٍ لَا يَسْتَطِيعُونَهَا وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا ، وَأَنَّى لِحَكِيمٍ إِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ[٢] ، الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْأَعْمَى وَالْأَبْرَصِ وَالْمَجْذُومِ وَمَنْ بِهِ مَرَضٌ مُزْمِنٌ؟

وَكَيْفَ يَتَوَصَّلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَ الْمَيِّتَ مِنْ قَبْرِهِ؟ هَذَا مِمَّا يَعْلَمُ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ مَنْ قَامَتْ بِهِ ، وَعَلَى قُدْرَةِ مَنْ أَرْسَلَه.

وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، بُعِثَ فِي زَمَنِ الْفُصَحَاءِ الْبُلَغَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، فَلَفْظُهُ مُعْجِزٌ تَحَدَّى بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ أَوْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مَثَلِهِ ، أَوْ بِسُورَةٍ ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ ، لَا فِي الْحَالِ وَلَا فِي الِاسْتِقْبَالِ ، كما قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا وَلَنْ يَفْعَلُوا} ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَلَامُ الْخَالِقِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ ، اسْتَمَرَّ أَكْثَرُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ ، فَانْتَدَبَ لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ طَائِفَةً صَالِحَةً ، فَكَانُوا لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، قَامُوا بِمُتَابَعَتِهِ وَنُصْرَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ ، وَذَلِكَ حِينَ هَمَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَوَشَوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، فَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ ، فَأَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، وَأَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ[٣] ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَهُ عِيسَى ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ غَالِطُونَ ، وَلِلْحَقِّ مُكَابِرُونَ ، وَسَلَّمَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّصَارَى مَا ادَّعَوْهُ ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ فِي ذَلِكَ مُخْطِئُونَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}.

الآية الثالثة

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِين * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ

---

[١] الطبائعية الحُكماء هم الفلاسفة.

[٢] الأكمه هو الذي وُلِد أعمى.

[٣] وكان هذا بعد تبرعه بذلك ، فداء وتضحية بنفسه عن المسيح ، جزاه الله خيرا.

اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون}[١].

إِلَى أَنْ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِين}[٢] ، فَعِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هُوَ خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا فَبَشَّرَهُمْ بِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ الْآتِي بَعْدَهُ ، وَنَوَّهَ بِاسْمِهِ ، وهو أحمد ، وهذا أحد أسمائه ، فإن له عدة أسماء منها أحمد ومنها محمد ، وهو أشهرها[٣] ، وَذَكَرَ لَهُمْ المسيح صِفَتَهُ لِيَعْرِفُوهُ وَيُتَابِعُوهُ إِذَا شَاهَدُوهُ ، إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَإِحْسَانًا مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[٤].

وقد قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت.[٥]

---

[١] سورة الصَّف: ٦ – ٩ .

[٢] سورة الصَّف: ١٤ .

[٣] للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أسماء عدة ، منها أحمد وأشهرها محمد ، وتعدد أسماء العظماء معروف عند العرب ، فالله سبحانه وتعالى له أسماء كثيرة منها (الرحمٰن ، الرحيم ، العظيم ، وغيرها) ، والأسد له عدة أسماء منها قَسْورة ، وللسيف عدة أسماء منها (مُهنَّد) ، وهكذا.

وكذلك النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء ذكره في الكتاب المقدس (القرآن الكريم) باسم أحمد ، وباسم محمد ، وهٰذان الاسمان وان اختلفت صيغة كل واحد عن الآخر فهما مشتقان من مادة واحدة وهي مادة الحمد ، والمتصف بهما يكون جامعاً لخصال الخير.

[٤] سورة الأعراف: ١٥٧ .

[٥] رواه ابن حبان (٣١٣/١٤) عن العرباض بن سارية الفِزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين ، وإنَّ آدم لَمُنجدَلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ، أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

قوله (مُنجدل) أي مُلقى على الجَدالة وهي الأرض. انظر «النهاية».

فقوله: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» أي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا بَنَى الْكَعْبَةَ قَالَ: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ **رَسُولًا مِّنْهُمْ** يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١] ، ومعنى الآية: ان إبراهيم وإسماعيل دعوا الله ربهما وهما يبنيان الكعبة ، (وهي بيت الله الذي بمكة الذي يحج الناس إليه منذ عهد إبراهيم) فقالا: ربنا وابعث في هذه الأمة رسولا من ذرية إسماعيل يتلو عليهم آياتك ويعلمهم القرآن ، ويطهرهم من الشرك وسوء الأخلاق ، إنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء ، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها.

وقوله «وبشرى عيسى» ، خُصَّ عيسى بالنص على البشرى بالنبي بعده وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، فهو ناقل تلك البشرى لقومه عمن قبله ، كما قال {مصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَ مِنَ التَّوْرَاةِ} ، ومَن قبله ناقل عمن قبله وهكذا ، حتى صرح بها عيسى عليه السلام وأداها إلى قومه ، فإنه لَمَّا انْتَهَتِ النُّبُوَّةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِيسَى ، قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ النُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ ، وَأَنَّهَا بَعْدَهُ فِي النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأُمِّيِّ ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، أَحْمَدَ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، الَّذِي هُوَ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَام.

ثُمَّ حَرَّضَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَنُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَمُؤَازَرَتِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} ، أَيْ: مَنْ يُسَاعِدُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا النَّاصِرَة ، فَسُمُّوا النَّصَارَى بِذَلِك.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ} يَعْنِي لَمَّا دَعَا عِيسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ، فَكَانَ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ أَهْلُ أَنْطَاكِيَةَ بِكَمَالِهِمْ ، فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ وَالتَّفْسِيرِ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ثَلَاثَةً ، أَحَدُهُمْ شَمْعُونُ الصَّفَا ، فَآمَنُوا وَاسْتَجَابُوا ، وَكَفَرَ آخَرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ جُمْهُورُ الْيَهُودِ ، فَأَيَّدَ اللَّهُ مَنْ آمَنَ بِهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ فِيمَا بَعْدُ ، وَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمْ قَاهِرِينَ لَهُمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة}[٢] الْآيَة.

---

[١] سورة البقرة: ١٢٩ .

[٢] سورة آل عمران: ٥٥ .

ذكر شيء من أخبار المسيح عليه السلام

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا[١]» ثُمَّ قَرَأَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[٢] ، فَأَوَّلُ الْخَلْقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٣].[٤]
- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عبده ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[٥].
قوله (لا تطروني) ، الإطراء هو الإفراط ومجاوزة الحد في المدح والثناء والتعظيم ، كما حصل مع النصارى لما عظموا المسيح فوصفوه بأوصاف الله ، تعالى الله عن ذلك.
- وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلْمَان الفارسي رضي الله عنه قَالَ: فَتْرَةٌ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِما وَسَلَّمَ ، سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ.[٦]
- وَذَكَرَ المؤرخ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ المؤرخ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَّى الْحَوَارِيِّينَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ بِأَنْ يَدْعُوَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَعَيَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ فِي إِقْلِيمٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ مِنَ الشَّامِ وَالْمَشْرِقِ ، وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ أَصْبَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ.

---

[١] سورة الأنبياء: ١٠٤ .
[٢] غرلا أي غير مختونين.
[٣] سورة المائدة: ١١٧ .
[٤] رواه البخاري (٣٤٤٧) ومسلم (٢٨٦٠).
[٥] رواه البخاري (٣٤٤٥).
[٦] رواه البخاري (٣٩٤٨).

ذكر شيء من مناقب المسيح عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟

قَالَ: كَلَّا ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنَيَّ».[٧]

قال ابن كثير رحمه الله: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَجِيَّةٍ طَاهِرَةٍ ، حَيْثُ قَدَّمَ حَلِفَ ذَلِكَ الرَّجُلِ – وَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا لَا يَحْلِفُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ كَاذِبًا – عَلَى مَا شَاهَدَهُ مِنْهُ عِيَانًا ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ ، وَرَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ، أَيْ صَدَّقْتُكَ ، وَكَذَّبْتُ بَصَرِي لِأَجْلِ حَلِفِك.

[٧] رواه البخاري (٣٤٤٤).

صِفَةُ المسيح عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَمَائِلُهُ وَفَضَائِلُهُ

١. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} ، قِيلَ: سُمِّيَ الْمَسِيحَ لِمَسْحِهِ الْأَرْضَ ، وَهُوَ سِيَاحَتُهُ فِيهَا ، وَفِرَارُهُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِشِدَّةِ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ لَهُ ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ ، عَلَيْهِمَا السَّلَام.

٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: ... وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ[١] النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ[٢] كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ – يَعْنِي الْحَمَّام.

وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»[٣].

٣. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ[٤] عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ[٥] جَسِيمٌ سَبْطٌ[٦] ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ[٧]»[٨].

٤. وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى المسيح في المنام ، ومما قاله في الحديث في وصفه: رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مَنْ أُدْمِ الرِّجَالِ ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ[٩] بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعْرِ[١٠] ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هذا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.[١١]

---

[١] نَعَتَهُ أي وصفه.

[٢] رَبعةٌ أي بين الطويل والقصير. انظر «شرح النووي على صحيح مسلم».

[٣] رواه البخاري (٣٤٣٧) ومسلم (١٦٨).

[٤] جعد الرأس أي أن شعره متجعد ، وضده الشعر السَّبط وهو المسترسل. انظر «النهاية».

[٥] آدم أي أسمر شديد السمرة. انظر «النهاية».

[٦] سَبطٌ أي أن شعره مسترسل وليس متجعد. انظر «النهاية».

[٧] رجال الزُّطِّ هم جنس من السودان والهنود. انظر «النهاية».

[٨] رواه البخاري (٣٤٣٨).

[٩] اللِّمة من شعر الرأس هي ما ألمَّت بالمنكبين. انظر «النهاية».

[١٠] تقدم بيان معنى رَجِل الشعر.

[١١] رواه البخاري (٣٤٣٩ ، ٣٤٤٠) ومسلم (١٦٩).

ذِكْرُ الأدلة على رَفْعِ المسيح عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ الرَّبِّ ، وَبَيَانُ خطأِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي دَعْوَى الصَّلْبِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون}[١].

فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ مَا تَوَفَّاهُ بِالنَّوْمِ ، رفعه بروحه وجسده كهيئته لما كان في الأرض[٢] ، وَخَلَّصَهُ مِمَّنْ أَرَادَ أَذِيَّتَهُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَشَوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ الْكَفَرَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَكَانَ اسْمُهُ دَاوُدَ بْنَ يُورَا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ فَحَصَرُوهُ فِي دَارٍ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وقصة الرفع من البداية هي أن اليهود لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى ، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات ، التي كان يبرئ بها الأكمه[٣] والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يُشاهَدُ طيرانه بإذن الله عزَّ وجل ، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه ، فكذبوه وخالفوه ، وسَعَوْا في أذاه بكل ما أمكنهم ، حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلدة ، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان – وكان رجلا مشركًا من عبدة الكواكب ، وكان يقال لأهل ملته: اليونان — فقالوا له إن ببيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه ، فغضب الملك من هذا ، وكتب إلى نائبه بالمقدس – وهو دَاوُدَ بْنَ يُورَا – أن يقبض على هذا المذكور ، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ، ويكف أذاه على الناس ، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك ، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى ، عليه السلام ، وهو في جماعة من أصحابه ، اثنا عشر أو ثلاثة عشر – وقيل: سبعة عشر نفرًا – وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت ، فحصروه هنالك ،

---

[١] سورة آل عمران: ٥٤ — ٥٥ .

[٢] جاء في الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه رفعه إلى السماء الثانية ، فهو باقٍ هناك حتى يأذن الله بنزوله في آخر الزمان. انظر «صحيح البخاري» (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[٣] الأكمه هو الذي وُلِد أعمى.

فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ دُخُولِهِمْ أُلْقِيَ شَبَهُ المسيح عَلَى أحد أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ ، وَرُفِعَ المسيح مِنْ رَوْزَنَةٍ[١] مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ يَنْظُرُونَ ، وَدَخَلَ الشُّرَطُ[٢] فَوَجَدُوا ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ ، فَأَخَذُوهُ ظَانِّينَ أَنَّهُ عِيسَى ، فَصَلَبُوهُ وَوَضَعُوا الشَّوْكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ ، وتبجَّحوا بذلك ، وَسَلَّمَ لِلْيَهُودِ عَامَّةُ النَّصَارَى[٣] الَّذِينَ لَمْ يُشَاهِدُوا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى أَنَّهُ صُلِبَ ، ما عدا من كان في البيت مع المسيح لأنهم شاهدوا رفعه بعيونهم ، وأما غيرهم فظنوا كما طنت اليهود أن المصلوب هو المسيح ، وَضَلُّوا بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَلَالًا مُبِينًا كَثِيرًا فَاحِشًا بَعِيدًا.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}[٤] ، أَيْ: بَعْدَ نُزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَام.

وروى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَفِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ - مِنَ الْحَوَارِيِّينَ يَعْنِي - فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ[٦] فِي الْبَيْتِ ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي ، وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي[٧]؟

فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا[٨] ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ ، فَقَامَ الشَّابُّ ، فَقَالَ: اجْلِسْ.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ ، فَقَامَ الشَّابُّ ، فَقَالَ: أَنَا.

فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ.

---

[١] الرَّوزنة هي الكُوَّة ، وهي فتحة في سقف البيت. انظر «مختار الصحاح».

[٢] الشُّرط أي الشرطة وهم رجال الأمن.

[٣] سَلَّم النصارى لليهود أي صدَّقوهم فيما قالوا إنهم قتلوه وصلبوه.

[٤] سورة النساء: ١٥٩ .

[٥] انظر «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم ، سورة النساء: ١٥٧ ، وروى ابن جرير هذه القصة بإسناده في تفسيره «جامع البيان» في آخر تفسير سورة الصف.

[٦] العين هي عين الماء وهي البئر التي تكون في البيوت في الماضي لاستخراج الماء منها.

[٧] يعني أنه سيكون معه في درجته في الجنة ثوابا له على أنه افتدى المسيح بنفسه.

[٨] أي مِن أقلِّهم عمرا.

فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى ، وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ[١] فَأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ ، فَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: (كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ) ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّة.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: (كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: (كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُون[٢].

فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا ، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}[٣].[٤]

وَفِي الْحَدِيثِ: «يدخل أَهْلَ الْجَنَّةِ الجنةَ جُرْدًا مُرْدًا[٥] بيضا مُكَحَّلِينَ ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِين»[٦].

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «عَلَى مِيلَادِ عِيسَى[٧] ، وَحُسْنِ يُوسُف».[٨]

---

[١] أي جاء الذي يطلبون المسيح ويبحثون عنه.

[٢] المقصود بالمسلمين هنا هم أتباع المسيح على الحق ، لأن كلمة الإسلام لها معنيان عام وخاص ، فأما العام فهو عبادة الله وحده وطاعة النبي الذين أرسل فيهم ، وهذا الوصف (المسلمون) ينطبق على أتباع كل نبي من آدم إلى محمد.

والمعنى الثاني لكلمة الإسلام هو خصوص الدين الذي بعث الله به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والذي يسمى أتباعه بالمسلمين.

[٣] سورة الصف: ١٤ .

[٤] قال ابن كثير رحمه الله: وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، عَلَى شَرْطِ مُسْلِم.

[٥] جُردا جمع أجرد وهو الذي ليس عليه شعر جسم ، ومُردا جمع أمرد وهو الذي لا لحية له.

[٦] رواه أحمد في «المسند» (٢/٢٩٥) وغيره ، وحسنه محققوه برقم (٧٩٣٣).

[٧] معنى قوله (على ميلاد عيسى) أي في سنه الذي رُفع فيه ، وهو ثلاث وثلاثون سنة كما سيأتي.

[٨] رواه الضياء المقدسي في « صفة الجنة» (١١٢) عن أنس رضي الله عنه ، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين ، الناشر: دار بلنسية – الرياض.

ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٩) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، تحقيق علي رضا ، الناشر: دار المأمون – دمشق.

والحديث صححه الألباني بشواهده في «السلسلة الصحيحة» (٢٥١٢).

وَكَذَا قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، أَنَّهُ قَالَ: رُفِعَ عِيسَى ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً.[١]

{فائدة تاريخية}

لَمَّا صَلَبَ الْيَهُودُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ثُمَّ أَلْقَوْهُ بِخَشَبَتِهِ جَعَلُوا مَكَانَهُ مَطْرَحًا لِلْقُمَامَةِ وَالنَّجَاسَةَ وَجِيفَ الْمَيْتَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ فِي زَمَانِ قُسْطَنْطِينَ ، فَعَمَدَتْ أُمُّهُ هِيلَانَةُ الْحَرَّانِيَّةُ الْفِنْدِقَانِيَّةُ فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَقِدَةً أَنَّهُ الْمَسِيحُ ، وَوَجَدُوا الْخَشَبَةَ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَصْلُوبُ ، حَتَّى عَظَّمُوا تِلْكَ الْخَشَبَةَ وَغَشَّوْهَا بِالذَّهَبِ وَاللَّآلِئِ ، وَمِنْ ثَمَّ اتَّخَذُوا الصُّلْبَانَاتِ وَتَبَرَّكُوا بِشَكْلِهَا وَقَبَّلُوهَا ، وَأَمَرَتْ أُمُّ الْمَلِكِ هِيلَانَةُ فَأُزِيلَتْ تِلْكَ الْقُمَامَةُ ، وَبُنِيَ مَكَانَهَا كَنِيسَةٌ هَائِلَةٌ مُزَخْرَفَةٌ بِأَنْوَاعِ الزِّينَةِ ، فَهِيَ هَذِهِ الْمَشْهُورَةُ الْيَوْمَ بِبَلَدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، الَّتِي يُقَالُ لَهَا «الْقُمَامَة» ، بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ عِنْدَهَا ، وَيُسَمُّونَهَا «الْقِيَامَة» ، يَعْنُونَ الَّتِي يَقُومُ جَسَدُ الْمَسِيحِ مِنْهَا.

ثُمَّ أَمَرَتْ هِيلَانَةُ بِأَنْ تُوضَعَ قُمَامَةُ الْبَلَدِ وَكُنَاسَتُهُ وَقَاذُورَاتُهُ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَةُ الْيَهُودِ ، إهانة لليهود ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى فَتَحَ الخليفة المسلم عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وصار تحت الحكم الإسلامي ، فطهر المسجد الأقصى كله من القاذورات بما فيه الصخرة.

[١] رواه أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٤٨١/١) برقم (١١٠٠).

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال: فقال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله فرفع إلى السماء.

وقال آخرون: هو الله.

وقال آخرون: هو ابن الله.

فالقول الأول هو الحق وأصحابه هم أهل الحق ، والقولان الآخران كفر عظيم.

(وأما الإنجيل الأصلي «الكتاب المقدس» الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين فليس له وجود الآن ، وقد حَلَّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا) وثلاثة وعشرون رسالة ، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرا ، وهذه الأسفار تمت كتابتها من قِبَل أشخاص لم يلتقوا بالمسيح ولم يروه لحظة واحدة ، بل كتبوها بعد رفعه إلى السماء ، وهي في مضمونها لا يطابق واحد منها الآخر ولا في واحد في المئة من محتواها ، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

والأناجيل الأربعة المذكورة هي المعتمدة في المسيحية المعاصرة ، وأما الثلاثة والعشرون فغير معتمدة!

وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة وأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين ، يؤمن البروستانت بستة وستين منها ، ولا يؤمنون بالبقية ، بينما يؤمن الأرثودكس والكاثوليك بها كلها.

فبناء على هذا فإن الرجوع إلى هذه الكتب التي تسمى أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسى ابن مريم الأصلية خطأ فادح ، لأنه رجوع إلى كلام البشر الذي يعتريه الصح والخطأ ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها ، وليس رجوعا إلى كتاب الله المقدس ((الإنجيل الأصلي)) الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم ، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها المسيحيون هي فعلا الإنجيل الأصلي لما تعددت ولما تناقضت فيما بينها ، لأنه من المعلوم قطعا أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد ، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة).[1]

ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت الطامة العظمى ، والبلية الكبرى ، فقد اختلف البتاركة الأربعة ، وجميع الأساقفة ، والقساوسة ، والشمامسة ، والرَّهَّابين ، اختلفوا في المسيح على أقوال متعددة ، لا تنحصر ولا تنضبط ، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم أصحاب المجمع

[1] ما بين القوسين زيادة من المعتني بهذه الرسالة ، وليس من كلام ابن كثير ، وقد نبهت على هذا لطوله. (ماجد).

الأول ، فصار المِلك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا «الملكية» ، ودَحَض مَن عداهم وأبعدهم ، وتفرَّدت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس ، الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله ، فسكنوا البراري والبوادي ، وبنوا الصوامع والدِّيارات والقَلاّيات[١] ، وقنعوا بالعيش الزهيد ، ولم يخالطوا أولئك المِلل والنحل ، وبَنت الملكية الكنائس الهائلة ، وعمدوا إلى ما كان من بناء اليونان ، فحولوا محاريبها إلى الشرق ، وقد كانت إلى الشمال إلى نجم الجدي.

وبنى الملك قسطنطين «بيت لحم» على محل مولد المسيح ، وبنت أمه هيلانة القمامة على قبر المصلوب[٢] المصلوب[٢] ، وهم يُسَلِّمون لليهود أنه المسيح.

وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ، ووضعوا القوانين والأحكام ، ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة ، وأَحلُّوا أشياء هي حرام بنص التوراة ، ومن ذلك الخنزير ، وصلُّوا إلى الشرق ، ولم يكن المسيح صلى إلا إلى صخرة بيت المقدس ، وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى ، ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر ، أو سبعة عشر شهرا ، ثم حوَّل اتجاه صلاته إلى الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل ، وهي في بلد «مكة».

وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ، ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونساؤهم ورجالهم ، التي يسمونها **بالأمانة** ، وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة ، وجميع الملكية والنسطورية أصحاب نسطورس ، أهل المجمع الثاني ، واليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث ، يعتقدون هذه العقيدة ، ويختلفون في تفسيرها.

وها أنا أحكيها[٣] ، وحاكي الكفر ليس بكافر ، لأنبه على ما فيها من ركة الألفاظ ، وكثرة الكفر ، والخبال المفضي بصاحبه إلى النار ذات الشواظ ، فيقولون:

نؤمن بإله واحد ، أب ضابط الكل ، خالق السماوات والأرض ، كل ما يُرى وكل ما لا يُرى ، وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد ، المولود من الأب ، قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساوي الأب في الجوهر الذي كان به كل شيء من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنَّس وصُلِب على عهد

---

[١] القلاّيات جمع قِلِّيَّة وهي مكان عبادة يشبه الصومعة ، وتجمع على قلالي. انظر «المعجم الوسيط».

[٢] تقدم بيان أن الشخص المصلوب ليس هو المسيح ، وإنما هو شخص افتدى المسيح بنفسه ، وهو يشبه المسيح ، فظنه اليهود هو المسيح فقتلوه وصلبوه ، ونجى الله نبيه المسيح من الأذى برفعه إلى السماء معززا مكرما.

[٣] المتكلم هو ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» ، وهو الكتاب الذي اعتمدت عليه اعتمادا أساسيا في بحثي هذا.

بيلاطس البنطي وتألم وقُـبِـر ، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب.

وأيضا فسيأتي بجسده ليدِين الأحياء والأموات ، الذي لا فناء لمُلكه ، وروح القدس الرب المُحيِي المنبثق من الأب والابن مسجود له ، وبمجد الناطق في الأنبياء ، وبكنيسة واحدة جامعة مقدَّسة رسولية ، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، ونترجَّى قيامة الموتى ، وحياة الدهر الآتي. آمين.[١]

[١] ضبطت نص الأمانة من كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢٢٩/٣) ، لابن تيمية رحمه الله.

- المسيح عيسى ابن مريم ستكون له ستة مناقب ، ثلاثة منها لم تحصل لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده:

الأولى نزوله من السماء على منارة أحد مساجد المسلمين في مدينة دمشق.

والثانية أنه سيقتل المسيح الدجال بيده ، ويريح الناس منه[١].

والثالثة إهلاك قوم يأجوج ومأجوج[٢] بسبب دعائه ودعاء من معه من المسلمين عليهم.

والرابعة أنه سيكسر الصليب الذي يعبده النصارى ، ويرد الجزية التي كانت تؤخذ منهم مقابل تمتعهم بالعيش تحت حكم المسلمين ، فلا يقبلها حينئذ ، ولا يقبل إلا الدخول في دين الإسلام ، ويقتل الخنزير.

والخامسة أنه سيحكم المسلمين سنوات طويلة ، هي أفضل أيام الدنيا.

والسادسة أنه سيحج إلى مكة.

وفيما يلي تفصيل لكل واحدة من هذه المناقب ، نسأل الله التوفيق والسداد.

مقدمة – حال الناس قبل نزول المسيح

- في آخر الزمان وقبل قيام الساعة تحصل معركة بين المسلمين والروم ، في «الأعماق» ، وهي بلد بين حلب وأنطاكية ، أو بـ «دابِق»[٣] ، والمعركة تحصل لأن المسلمين يريدون فتح القسطنطينية ، وهي المعروفة الآن بإستانبول ، وقد فُتِحت القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧ هجري ، ولكن الروم سيسترجعونها ، وفي آخر الزمان تقوم هذه المعركة بين الفريقين لاسترداد القسطنطينية مرة أخرى ، وحيازتها إلى حكم المسلمين.

- والروم هم من النصارى ، وهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

---

[١] سيأتي التعريف بالمسيح الدجال.

[٢] سيأتي التعريف بقوم يأجوج ومأجوج.

[٣] دابِق ، قرية قرب حلب ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. انظر «معجم البلدان» ، مادة: دَبَـقَ.

- فيخرج جيش من المسلمين من «المدينة» من خِيار أهل الأرض يومئذٍ ، فإذا تصافُّوا للقتال قالت الروم: (خَلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا منا نُقاتلهم) ، يعنون بذلك من سباهم المسلمون[١] في بعض المعارك ثم أسلموا على أيديهم لما فهموا دين الإسلام واقتنعوا به ، فهؤلاء يطالب بهم الروم ليقتلوهم لكونهم أسلموا ، فيقول المسلمون: (لا والله ، لا نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا) ، فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث المسلمين ، لا يتوب الله عليهم أبدا ، لأنهم فروا من المعركة ، وهذا إثم عظيم ، ويُقتل ثلثهم ، هم أفضل الشهداء عند الله ، ويَفتح الثلث القسطنطينية ، حيث أنهم سيتوجهون إلى القسطنطينية بعد انكسار جيش النصارى في أرض المعركة ، ويفتحونها ، وبهذا يكون قد تم القضاء على النصارى عسكريا ، ولم تبق لهم شوكة ، وهؤلاء الثلث لا يُفتنون أبدا[٢].

[١] سباهم المسلمون أي أخذوهم من ساحة المعركة وصاروا أسرى.

[٢] أي يثبتون على الإسلام حتى الممات ، لأن الفتنة هي الاختبار.

ظهور الدجال ونزول المسيح ابن مريم

● فبينما المسلمون يقتسمون الغنائم وقد علّقوا سيوفهم بشجر الزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: (إن المسيح – أي المسيح الدجال[١] – قد خلَـفَكم في أهليكم) ، أي أنه قد ظهر ، وقد أقام مُقامكم في أهليكم ، وهو – أي الشيطان – كاذب عليهم في الحقيقة ، فالدجال لم يظهر ولكنه يريد إفزاع جيش المسلمين وإفساد أمرهم وتنغيص فرحتهم ، فيخرجون إليه – أي إلى المسيح الدجال – ، فإذا ذهبوا إلى الشام فإذا المسيح الدجال قد خرج فعلا ، فرد الله كيد الشيطان عليه ، فبينما هم يُعِـدُّون لقتاله

---

[١] المسيح الدجال رجل من بني آدم ، سُمِّي بذلك لأنه يمسح الأرض بضلالِه ، أي ينشر ضلاله في الأرض ، يخرج في آخر الزمان من غضبة يغضبها ، يفتن الناس بما أعطاه الله من الخوارق ، كإنزال المطر وإحياء الأرض بالنبات وإخراج كنوزها ، يخرج من «أصبهان» ، وهي بلد تقع في إيران ، ومعه سبعون ألفا من يـهودها ، يـعيث في الأرض فسادا ، ويدعو الناس لعبادته ، ويدَّعي الربوبية ، أي يدعي أنه هو الله ، فينطلق من أصبهان فيمـر من طريق بين الشام والعراق ، ويعيث بها يمينا وشمالا ، أي يُفسد ما لقيه في طريقه ببث فتنه التي ينشرها بين الناس ، ويلبث في الأرض أربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامنا ، وسرعته في الأرض كسرعة الغيث – أي المطر – إذا استدبرته الريح ، ومعه فتن أجراها الله على يديه ، ليُقنع الناس بأنه هو الله بزعمه ، فمن آمن بما يدَّعيه هلك ، ومن حاد عن طريقه وتركه نجاه ، ومن فِتنته أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تُنبت فتنبت ، فتسمن الماشية ، وتشبع الإبل ، فإذا مر على قومٍ فلم يؤمنوا به أصبحوا مُمحِلين أي أصابهم القحط وهو انقطاع المطر ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالأماكن الخربة فيقول لها: (أخرجي كنوزك) ، فتتبعه كنوزها كذكور النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه قطعتين ، ثم يدعوه فيقوم ذلك الشاب ويقبل وهو متهلل وجهه ويضحك ، وكل هذه الفتن هي من عند الله ، ليست من عند الدجال ، ولكن الله أجراها على يديه ليتميز المؤمن الصادق الذي يعبد الله على بصيرة من الجهال والكفار الذين يعبدون الله على البدع والضلالات والكفريات ، ويركضون خلف كل ناعق.

وكلمة الدجال من الدَّجل ، وهو الخلط والتلبيس والكذب والتلبيس.

والدجال يطأ كل أرض إلا أربعة أماكن وهي مكة والمدينة والمسجد الأقصى والطور ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد (٣٦٥/٥) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنذرتكم المسيح ... علامته يمكث في الأرض أربعين صباحا ، يبلغ سلطانه كل مَنهل ، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى ، والطور.

قال محققو «المسند» (١٨٠/٣٨): قوله (لا يأتي أربعة مساجد) ، ذكر منها الأقصى والطور ، ولم يرد ذكرهما إلا في هذا الحديث فيما نعلم ، وليس في الأحاديث الصحيحة إلا ذكر مكة والمدينة.

وقوله (يبلغ سلطانه كل مَنهل) أي يبلغ سلطانه كل موردِ ماء ، لأن المنهل هو مورد الماء ، وموارد الماء تكون الطرق عليها.

ويُسوُّون الصفوف إذ أقيمت صلاة الفجر ، فينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء على المنارة البيضاء بالجامع الأموي شرقي بدمشق[١] ، ينزل بين مَهرُودتين ، أي قطعتين من الثياب ، والثوب المهرود هو المصبوغ بالورس ثم بالزعفران[٢] ، واضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، إِذَا طَأْطَأَ رَأَسَهُ قَطَرَ ، أي قَطَرَ من العرق[٣] ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ[٤] كَاللُّؤْلُؤِ[٥] ، فَلاَ يمكن لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِ المسيح إِلاَّ مَاتَ ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ ، أي بصره ، فإذا نزل المسيح قال له أمير الْمُسْلِمِين — وهو المعروف بالمَهدي[٦] – : (تعالَ صلِّ لنا) ، أي: كن إمامنا في الصلاة ونحن نصلي خلفك ، فَيَقُولُ المسيح: لَا ، إن بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاء ، تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّة.

---

[١] قد بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَنَارَةُ مِنْ حِجَارَةٍ بِيضٍ ، ولهذا سميت بالمنارة البيضاء ، وهي موجودة الآن.

[٢] انظر «النهاية» ، مادة: هَرَد.

[٣] انظر «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢٠٦/٤) ، لابن الجوزي ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[٤] الجُمان هو اللؤلؤ الصغار ، وقيل: حبٌّ يُتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. انظر «النهاية» ، مادة: جَمن.

[٥] المراد أنه يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه ، فيسمى جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن. انظر شرح النووي على الحديث.

[٦] قال الشيخ محمد بن صالح المنجد حفظه الله:

الإمام المهدي هو رجل صالح من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم ، يكون في آخر الزمان ، يُصلح الله به أمر الناس ، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، واسمه على اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه على اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو محمد بن عبد الله المهدي ، أو أحمد بن عبد الله المهدي ، وينتهي نسبه إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وعلامة ظهوره فساد الزمان ، وامتلاء الأرض بالظلم والعدوان .

ثم قال: ويكون ظهوره قبل خروج الدجال وقبل نزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، يجمع المسلمين ويقودهم ، ويكون مقدمةً لنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويدل لذلك حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم **المهدي**: تعالَ صلِّ بنا ، فيقول : لا ، إن بعضهم أمير بعض ، تكرمة الله لهذه الأمة.

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده».

وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (١٤٧/١): إسناده جيّد.

والحديث أصله في صحيح مسلم بدون تسميه الأمير ...

فيأتم عيسى عليه السلام بالمهدي مما يدل على أنه قَبْـل عيسى ، وعيسى يقتل الدجال ، مما يدل على أن الدجال يخرج في زمن المهدي ، ثم بعد مقتل الدجال يكون المسيح هو إمام الناس.

فَيُصَلِّي المسيح خلف المَهدي أمير المسلمين ، وهذا من كرامة الله لهذه الأمة ، أن واحدا من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيصلي خلفه نبي عظيم وهو المسيح ابن مريم ، بينما المهدي ليس بنبي والمسيح نبي.

- وهذا يدل أيضا على أن المسيح سيعبد الله على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم – شريعة الإسلام – ، لأنه سيصلي صلاة المسلمين ، وهذا ليس بغريب ، فقد بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، بما فيهم المسيح ، فإذا نزل المسيح وجب عليه الدخول في الإسلام.

كذلك فقد بشَّر المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمر قومه – بني إسرائيل – بالإيمان به والدخول في دينه الإسلام.[١]

اللحاق بالدجال والقضاء عليه مع من معه من اليهود

- وبعد انقضاء الصلاة خلْف أمير المسلمين يركب المسلمون في طلب الدجال ومعهم المسيح ابن مريم ، فَيَلْحَقُهُ عِنْدَ «بَابِ لُدْ» ، وهي قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ، فإذا رآى المسيحُ الدجال المسيحَ ابن مريم ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب كما يذوب الملح في الماء حتى يهلِك بالكلية ، ولكن المسيح يتداركه وَيَقْتُلُهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَة ، ثم يُرِي المسلمين دمه في حربته ، ويريح الناس من فتنه وإغوائه ، والحمد لله تعالى.[٢]

انتهى مجموع كلامه حفظه الله نقلا من موقعه : (https://islamqa.info/ar/١٧٠١٧٤ ، وانظر سؤال رقم ٤٣٨٤٠ ، ١٧٠١٧٤).

قال مقيده عفا الله عنه: فالمهدي يحكم بشريعة الإسلام ، ويُحْيي تعاليمه في نفوس الناس بعد اندراسه وضعفه ، وفُشُو الظلم والعدوان ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحِقبة الزمنية التي يتولى فيها المهدي أمر الناس ويقيم أمرهم في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم (**يعني المهدي**): تعال صلِّ لنا. فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة. رواه مسلم (١٥٦).

[١] انظر كتاب "The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible" ، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

[٢] انظر «صحيح مسلم» (٢٨٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا (١٥٦) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه. وكذا (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه.

وقتل المسيح الدجال من أعظم مناقب وفضائل المسيح ابن مريم ، لأنه أعظم فتنة حصلت للناس منذ خلق الله آدم ، وقد قضى الله أن يكون هلاك مسيح الضلالة وهو الدجال على يد مسيح الهداية وهو عيسى ابن مريم ، وهذا من أعظم مناقبه ، صلى الله على وسلم.

- ومن مناقب المسيح قتال اليهود الذين كانوا بصحبة الدجال ، وقتلهم إلا من أسلم منهم ، ثم بعد هذا يقع السلام والأمان في الأرض ، وقد لخص قصة قتل اليهود الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله حيث قال:

روى البخاري (٣٥٩٣) ، ومسلم (٢٩٢١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ).

وفي صحيح مسلم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: (يَا مُسْلِمُ ، يَا عَبْدَ اللهِ ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ) ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ).

وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على أن قتال اليهود المذكور في هذا الحديث سيكون في آخر الزمان حين يخرج الدجال وينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فيقتله.

روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِـمَرِّ قَنَاة[1] ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ[2] ، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ.

رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩/٢٥٥)[3].

---

[1] قناة هي وادٍ في المدينة يمر بين المدينة وجبل أُحد. انظر «معجم معالم الحجاز» (٧/١٤٠٥) ، تأليف: عاتق البلادي ، الناشر: مؤسسة الريان – لبنان.

[2] أي إذا ذهب لفلسطين يُسلِّط الله المسلمين عليه وعلى من معه من اليهود فيقتلون.

[3] ط الرسالة.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٦/٦١٠): فالمراد بقتال اليهود: وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى .انتهى.

وقال ابن الملقن: "المراد بقوله (تقاتلون اليهود) إذا نزل عيسى ، فإن المسلمين معه ، واليهود مع الدجال".

انتهى من «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٧/٦٦٣).

وهو ما جزم به جمع من شراح الحديث ، بل أخرج الإمام الترمذي (٢٢٣٦) حديث عبد الله بن عمر السابق في باب "علامة الدجال".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اليهود إنما ينتظرون المسيح الدجال ، فإنه الذي يتبعه اليهود ، ويخرج معه سبعون ألف مُطَيْلَس[1] من يهود أصبهان ، ويقتلهم المسلمون معه ، حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم ، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله. انتهى من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ٣٠).

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "فإن عيسى عليه الصلاة والسلام يغزوه ، ومعه المسلمون ، فيقتله بباب اللُّد ، باب هناك في فلسطين ، قرب القدس ، يقتله بحربته كما جاء في الحديث الصحيح ، والمسلمون معه يقتلون اليهود قتلة عظيمة ، جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلمين يقاتلون اليهود ، فيقتلونهم ، ويُسلطون عليهم ، يُنادي الشجر والحجر: (يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي تعال فاقتله) ، فيقتل عيسى الدجال وينتهي أمره".

انتهى من «فتاوى نور على الدرب» لابن باز ، بعناية الشويعر(٤/ ٢٩٠).

وإذا خرج الدجال تبعه عشرات الآلاف من اليهود واجتمعوا معه يريدون قتال المسلمين ، فينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويجتمع معه المسلمون لقتال الدجال وأتباعه ، فيدعو عيسى ابن مريم اليهود للإسلام ، ولا يقبل منهم في ذلك الوقت إلا الإسلام ، فيسلم منهم من يسلم ، ويبقى منهم من يبقى على يهوديته ، فتكون المعركة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم .

وبهذا يتبين أن المعركة من جانب المسلمين معركة عادلة مشروعة يحبها الله تعالى بلا شك ، ومما يدل على ذلك:

---

[1] مُطَيلَس أي لبس الطيلسان ، وهو نوع من الثياب.

– أنها ضد الدجال ومؤيديه الذين اجتمعوا لقتال المسلمين: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١].

– ولأنها معركة يخوضها المسلمون تحت قيادة عيسى بن مريم عليه السلام ، أحد الرسل الكرام.

– أن الله تعالى يُـكَـرِّم المسلمين[٢] في هذه المعركة بهذه الكرامة ، وهي نطق الحجر والشجر ومناداته على المسلم حتى يقتل اليهودي الذي يختبئ وراءه.

فكل ذلك يدل على أنها معركة عادلة يحبها الله ، كما هو الشأن في المعارك الإسلامية كلها التي يكون المقصد منها إعلاء كلمة الله في الأرض ، (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). رواه مسلم (١٩١٥). والله أعلم.

انتهى كلام الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله ، باختصار يسير.[٣]

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الدجال ليحذره الناس

- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بظهور الدجال وبصفاته الخَلقية في عدة أحاديث ليعرفه الناس ويحذروا منه ، وهذا من وحي الله له.

والمسيح الدجال يطأُ كل أرض ، ولكن الله يعصم مكة والمدينة منه ، لشرف هاتين البقعتين ، فتقف ملائكة يحرسونهما من الدجال ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، وليس نَقَبٌ من أنقابها[٤] إلا عليه الملائكة صافين تحرسها ، فينزل بالسَّبَـخَة[٥] ، فترجف المدينة ثلاث رجَفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق.[٦]

فإذا يئس الدجال من دخول مكة والمدينة اتجه إلى فلسطين ، فبينما هو كذلك إذ جاءه المسيح ومعه المسلمون ، فيقتله بحربته كما تقدم.

---

[١] سورة الصف: ٣٢ .

[٢] ينبغي التنبه إلى أن المسيح واحد من المسلمين.

[٣] انظر الإجابة في موقعه: https://islamqa.info/ar/٢٢٣٢٧٥

[٤] النقب هو الطريق بين جبلين. انظر «النهاية» ، مادة: نقب.

[٥] السَّبَخة هي الأرض التي تعلوها الملوحة ، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. انظر «النهاية» ، مادة: سَبَـخ.

[٦] رواه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم.

وقد حذر جميع الأنبياء من الدجال ، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صفاته حتى يحذره الناس ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأُنذركموه ، ما من نبي إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكن أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه: تعلَّموا[١] أنه أعور ، وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور.[٢]

وقال: إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ،كأن عينه عِنبة طافية.[٣]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الدجال ممسوح العين ، مكتوب بين عينيه «كافر» ، ثم تهجاها: «ك ف ر» ، يقرأه كل مسلم.[٤]

ومن فتن الدجال أن معه جنة ونارا ، فناره جنة ، وجنته نار[٥] ، أي من استجاب له ودخل في الجنة التي معه فإنها نار في الحقيقة ، ومن استجاب له ودخل في النار التي معه فهي في الحقيقة جنة.

وسائل الحفظ من فتنة الدجال

- لقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ العشر آيات من أول سورة الكهف لأنها تعصم من فتنة المسيح الدجال ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجال.[٦]

كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته بأن من سمِع به فليناً عنه ولا يتلقاه لئلا يتعلق قلبه بالشبهات التي معه فيهلك ، فعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمِع بالدجال فلينأ عنه ، والله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يُبعث به من الشبهات ، أو: لِما يُبعث به من الشبهات.[٧]

---

[١] أي اعلموا وتحققوا.

[٢] رواه البخاري (٦١٧٥) ومسلم (١٦٩ الذي بعد ٢٩٣١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، واللفظ لمسلم.

[٣] رواه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩ الذي بعد ٢٩٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[٤] انظر «صحيح مسلم» عُقيب الحديث رقم (٢٩٣٣) برقم (١٠٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[٥] انظر «صحيح مسلم» (٢٩٣٤) عن حذيفة رضي الله عنه ، وكذا رواه مسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة بنحوه.

[٦] رواه مسلم (٨٠٩).

[٧] رواه أبو داود (٤٣١٩).

كما علَّم النبي صلى الله عليه وسلَّم أمته أن يستعيذوا بالله من فتنة المسيح الدجال في كل صلاة في خاتمة الصلاة قبل السلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا تشهَّدَ أحدُكم فليَسْتعذ بالله من أربعٍ ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، **ومن عذاب القبر** ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال.[١]

- وقد خلق الله المسيحين المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، أحدهما ضد الآخر ، فالأول يعم الأرض خيره ، والآخر يعم الأرض شره ، ولله في خلقه شؤون.
- وخلاصة الكلام "أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلُقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه ، كما تقدم أن من استجابوا له فإنه يأمر السماء فتمطرهم ، والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم مواشيهم سِماناً لُبنًا ، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تُصيبهم السَّنةُ[٢] والجدب والقحط ، وأنه يتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل[٣] ، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، وهذا كله ليس بِمَخْرقة[٤] ، بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان ، فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ، يكفر المرتابون ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً".[٥]

---

[١] رواه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨) ، واللفظ لمسلم.

فائدة: قال ابن كثير رحمه الله: قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قاله ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١١٥/١٧) ، باب: ذكر ما يعصم من الدجال ، ط دار ابن كثير – دمشق.

[٢] السَّــنة أي الجدب. انظر «النهاية» ، مادة: سَنه.

[٣] أي ذكور النحل.

[٤] أي ليس عن سحر أو شعوذة أو تخييلٍ للعين ، بل هو حقيقة ، وهو بأمر الله وتدبيره وتقديره ، وليس بأمر الدجال وقدرته.

[٥] قاله ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١١١/١٧-١١٢) ، ذكر أحاديث منثورة عن الدجال ، ط دار ابن كثير – دمشق ، باختصار يسير.

- ثم بعد مقتل المسيح الدجال ، يأتي المسيح ابن مريم إلى قوم قد عصمهم الله من فتنة الدجال ، فيمسح عن وجوههم[١] ويحدثهم عن درجاتهم في الجنة.

قصة المسيح ابن مريم مع يأجوج ومأجوج

فبينما المسيح يمسح عن وجوه من عصمهم الله من فتنة الدجال إذ أوحى الله إليه أني قد أخرجتُ عبادا لي لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم – أي لا قدرة لأحد على قتالهم – ، يعني بذلك قوم يأجوج ومأجوج ، فَحَرِّز عبادي إلى الطور ، أي: ضُمَّهم إليه واجعله لهم حِرزا وواقيا[٢] ، والطور هو الجبل الذي كلَّم الله سبحانه وتعالى موسى عليه ، ويقع في صحراء سيناء بمصر ، ويأجوج ومأجوج قبيلتان كافرتان من ذرية آدم ، عراض الوجوه صغار العيون ، كانوا مفسدين في الأرض ، كما قال الله عنهم في سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[٣] ، فسخّر الله «ذا القرنين» فبنى سدا من حديد ونحاس مذاب وحبسهم فيه[٤] ، فلا يزالون يحفرونه حتى يأذن الله بخروجهم في آخر الزمان ، فينهدم ذلك السد ، فيخرجون بأعدادهم الهائلة ، فيمر أوائلهم على «بحيرة طبرية»[٥] فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم عليها فيقولون: (لقد كان بهذه مرةً ماء) ، وهذا يدل على كثرتهم العظيمة أن شرب أولهم ما في البحيرة فإذا جاء آخرهم فإذا هي جافة ، فيُفسدون في الأرض تقتيلا للناس وإهلاكا ، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه في الطور حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، **وهذا شاهد من القصة** ، وهو كونه يَرغب إلى الله ، أي يدعو الله بضراعة ويسأله ويطلبه هو ومن معه من المسلمين أن يُهلك هؤلاء القوم الكفار المفسدين في الأرض ، ليهبطوا من الطور ويعيشوا مطمئنين على أنفسهم ، **فيستجيب الله دعاء المسيح ومن معه** ، فيرسل الله عليهم النَّغَفُ في رقابهم ، وهو نوع من الدود يكون في أنوف الغنم والإبل[٦] ، فيصبحون فَرسى – أي موتى – كموت

---

[١] يمسح عن وجوههم وكأنه يرفع غمَّهم بما لاقوا من الدجال. قاله ابن الجوزي في «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢٠٦/٤) ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[٢] انظر «النهاية» ، مادة: حَرَز.

[٣] سورة الكهف: ٩٤ .

[٤] سيأتي تفصيل الكلام في موضوع بناء ذي القرنين للسد على قوم يأجوج ومأجوج.

[٥] بحيرة طبرية موضع بالشام كالبِركة تحيط بها الجبال ، ويصب فيها فضلات أنهُر كثيرة من جهة «بانياس» والساحل والأردن الأكبر. انظر «معجم البلدان» ، مادة: طَبَر.

[٦] انظر «النهاية» ، مادة: نَغَفَ.

نفسٍ واحدة ، يموتون موتا جماعيا ، ثم يَهبط نبي الله عيسى وأصحابه من الطور ، أي ينحدرون منه ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه نَـتَـنُهم ، أي رائحة جِـيَـفِهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله مرة أخرى لِيُذهب عنهم هذه الرائحة ، فيرسل الله طيرا كأعناق البُخْت ، وهي جِمال طِوال الأعناق[١] ، فتحمل جثثهم الخبيثة فتطرحها حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَـفَـة ، وهي المِرآة ، شبهها بها لاستوائها ونظافتها[٢].[٣]

وقد دلت النصوص الصحيحة الصريحة على أن يأجوج ومأجوج من الكفار في الدنيا ، وأنهم كذلك من أصحاب النار في الآخرة ، ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْك.

فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّار.

قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟

قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِين.

قالوا: يا رسول الله ، وَأَيُّنَا ذلك الواحد؟

قال: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا ، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا .... الحديث.[٤]

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهذا صريح أن يأجوج ومأجوج من بني آدم ، وأنهم يدخلون النار.

انتهى من «لقاء الباب المفتوح».

ومما يدل على كفر قوم يأجوج ومأجوج وطغيانهم ؛ محاصرتهم لنبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الطور ، واعتقادهم بغلبة وقهر من في السماء ، أي الله سبحانه وتعالى ، كما قال النبي

---

[١] انظر «النهاية» ، مادة: بَـخَـتَ.

[٢] انظر «النهاية» ، مادة: زلَف.

[٣] انظر قصة خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم في صحيح مسلم (٢٩٣٧).

[٤] رواه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢).

صلى الله عليه وسلم عنهم: فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ فِي السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدِّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ قَسْوَةً وَعُلُوًّا.[١]

مرحلة السلام العالمي ورغد العيش تحت حكم المهدي ثم المسيح

وبعد هلاك قوم يأجوج ومأجوج تأتي المرحلة الثالثة التي يعيش الناس فيها بخير وطمأنينة ورغد عيش ، وقد استراحوا من رؤوس الشر وهم الدجال وقوم يأجوج ومأجوج ، فيأمر الله الأرض: (أنبتي ثمرتك ، ورُدِّي بركتك) ، فيكثر الرزق في الناس ، بسبب كثرة الطاعات والعبادات بين الناس ، وتلاشي الشرك في عبادة الله ، فيومئذ تأكل العِصابة من الرمانة ، وهي الجماعة من الناس[٢] ، ويستظلون بقَحْفِها ، أي قِشرها[٣] ، ويُبارَك في الرِّسْل ، أي اللبن ، حتى أن اللَّقِحة[٤] من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، وهم الجماعة الكثيرة من الناس[٥] ، واللَّقِحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللَّقِحة من الغنم لتكفي الفَخِذ من الناس.[٦]

- وفي هذه المرحلة الزمنية المباركة يُتوفى المهدي ، وتكون مدة حكمه سبع سنين[٧] ، ثم يتولى المسيح ابن مريم أمر المسلمين ، وتلتف حوله الطائفة المنصورة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ... الحديث.[٨]

ويكون حكم المسيح معتمدا على شريعة الإسلام بالطبع ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمَّكم منكم؟[٩]

---

[١] رواه الترمذي (٣١٥٣) وابن ماجه (٤٠٨٠) وأحمد (٥١١/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للترمذي ، وصححه الألباني رحمه الله. وأصله في مسلم (١١١) عُقيب حديث رقم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

[٢] انظر «النهاية» ، مادة: عَصَبَ.

[٣] انظر «النهاية» ، مادة: قَحَفَ.

[٤] اللَّقِحة هي الناقة القريبة العهد بالنَّتاج. انظر «النهاية» ، مادة: لَقَحَ.

[٥] انظر «النهاية» ، مادة: فَأَمَ.

[٦] انظر «صحيح مسلم» (٢٩٣٧).

[٧] انظر سنن أبي داود (٤٢٨٥) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٨] رواه مسلم (١٥٦) ، وقد تقدم.

[٩] رواه البخاري (٣٤٤٩) ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم.

ومعنى (أَمَّـكم منكم) أي أمكم بشريعتكم ، المستقاة من كتاب ربكم وهو القرآن ، وسُنَّة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم.

- وفي هذه الحقبة الزمنية من نزول المسيح يحصل السلام العالمي ، فلا يكون هناك عداوة ولا حروب ، فالناس كلهم مسلمون ، ويكون الناس في رغد عيش ، وحينها لن يوجد فقير واحد ، وستترك الزكاة فلا يأخذها أحد ، لأنه لا يوجد فقير أصلا ، فالناس كلهم في رغد عيش ، جزاء لهم من الله بسبب قيامهم بطاعة الله وتركهم لما يغضب الله ، وتلاشي الأديان الباطلة والمحرفة ، وطهارة الأرض من الشرك في عبادة الله.

- ويستمر الناس في رغد عيشهم في سنوات حكم المسيح ، ثم يُتوفى ، ويصلي عليه المسلمون ، وتكون مدة مكثه في الأرض أربعين سنة.[١]

مرحلة ما بعد وفاة المسيح

- ثم تأتي المرحلة الرابعة ، وهي المرحلة التي تتلو وفاة المسيح ، وفيها تخرج أجيال بعد ذلك لا تَعرِفُ معروفا ولا تنكر منكرا ، ويعم الكفر الأرض ، فيرسل الله ريحا ، فتقبض أرواح المؤمنين ، وبعدها تقوم الساعة على شرار الناس ، والدليل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر ، فعليهم تقوم الساعة"[٢] ، أي يتناكح الرجال والنساء في ذاك الزمان أمام الناس بلا حياء كما تـتـناكح الحمير في الطرقات.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ.[٣]

أحاديث متفرقة عن النبي صلى الله عليه وسلم في موضوع نزول المسيح

- ومن الأحاديث التي وردت عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصة نزول المسيح ابن مريم حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ[١] ،

---

[١] رواه أحمد (٤٠٦/٢) وصححه محققو «المسند» (٩٢٧٠).

[٢] رواه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٩٤٠).

[٣] رواه مسلم (١٤٨).

أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وإني أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ[٢] إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، عليه ثوبان مُمصَّران[٣] ، كأن رأسه يقطر وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فيدُق الصَّلِيبَ[٤] ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، فيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الملل كلها إلا الإسلام ، ويُهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، ثم تَقَعُ الْأَمَنَةُ[٥] على الْأَرْضِ ، حَتَّى تَرْتَعَ[٦] الأسود مع الْإِبِلِ ، والنِّمار مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لا تضرهم ، فَيَمْكُثُ أربعين سنة ثُمَّ يُتَوَفَّى ، ويُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُون.[٧]

- ومن الأحاديث التي وردت عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصة نزول المسيح ابن مريم حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

والذي نفسي بيده ، لَيوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويَفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها.

ثم قال أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾.[٨]

---

[١] العَلات هن زوجات الرجل الواحد ، فقوله (إخوة لِعَلات) أي إخوة لهم أب واحد وأمهات شتى ، والمراد هو التشبيه ، تشبيه الأنبياء الذين يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده مع كون شرائعهم مختلفة بالإخوة الذين لهم أب واحد وهو التوحيد مع كونهم من أمهات شتى ، وهن الشرائع.

[٢] تقدم بيان معنى هذه الكلمة ، وأنها بين الطويل والقصير.

[٣] المُمَصَّرة من الثياب هي التي فيها صفرة خفيفة ، والمعنى أنه سينزل في ثوبين فيهما صُفرة خفيفة. انظر «النهاية».

[٤] يدقه أي يكسره.

[٥] الأَمَنة أي الأمن. انظر «النهاية».

[٦] ترتع أي ترعى. انظر «النهاية».

[٧] رواه أحمد (٤٠٦/٢) وصححه محققو «المسند» (٩٢٧٠).

تنبيه: قال محققو «المسند»: وأما ما وقع في «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن مدة مكث عيسى عليه السلام تكون سبع سنين ؛ ففي إسناده يعقوب بن عاصم بن عروة ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وهو رجل غير مشهور ، وقال ابن حجر في «التقريب»: (مقبول) ، أي عند المتابعة ، وإلا فهو ليِّن ، ولم يتابعه على هذا أحد فيما نعلم ، والله تعالى أعلم.

[٨] رواه البخاري (٣٤٤٨ ، ٢٤٧٦ ، ٢٢٢٢) ، ومسلم (١٥٥) ، واللفظ للبخاري.

شرح ألفاظ الحديث:

قوله (لَيوشكَنَّ) أي ليقربَـنَّ ، فيه إشارة إلى قرب زمان نزول المسيح.

قوله (فيكم) أي في هذه الأمة.

قوله (حَكَما) أي ينزل حاكما بهذه الشريعة ، لا ينزل بشريعة مستقلة وشريعة ناسخة ، بل هو حاكم من حُكام هذه الأمة.[١]

قوله (يَكسر الصليب) فيه إشارة إلى إبطال دين النَّصْرَانِيَّة بِأَنْ يَكْسِر المسيح الصَّلِيب ، لأنهم يعظمونه ويعبدونه ، وتعظيم الصليب ليس من دين المسيح أصلا ، وحاشاه أن يأمر به ، بل هو مما دخل في دين المسيح في القرون التي تلت رفع المسيح ، وإلا فإن المسيح لم يُصلب أصلا ولم يعبد صليبا ولا غيره ، إنما كان يعبد الله وحده.

قوله (يقتل الخنزير) لأنه لحمه من المطاعم الخبيثة ، وهو محرم في شريعة الإسلام ، وقتله من باب تطهير الأرض من الخبائث مما سيكون ويتمتع الناس به في سنوات حكم المسيح.

قوله (ويضع الجزية) أي لا يقبلها من أحد ، لأن الجزية كانت تؤخذ من النصارى مقابل تمتعهم بحكم المسلمين وحفظ أموالهم وأعراضهم ، فإذا نزل المسيح فإنه لا يقبل الجزية ، بل لا يقبل إلا الإسلام ، فمن دخل في الإسلام سلِم دمه ، ومن أبى فعقوبته القتل ، لأنه سيكون معاندا رافضا لدين الإسلام الذي دخل فيه المسيح نفسه لما نزل من السماء ، وأمر قومه بالدخول فيه قبل رفعه إلى السماء.

قوله (ويَفيض المال) أي يكثر في زمن نزول عيسى ابن مريم ، وَسَبَب كَثْرَته نُزُول الْبَرَكَات وَتَوَالِي الْخَيْرَات بِسَبَبِ الْعَدْل وَعَدَم الظُّلْم.

وفي روايةِ مسلم: وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيُدْعَوُنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ.

القِلاص هي الإبل الفَـتِـيَّـة ، جمع قَلوص ، فهذه لا يُسعى عليها ، أي لا يَهتم الناس بها ولا يعتنون بها. قال النووي رحمه الله: "وَمَعْنَاهُ أَنْ يُزْهَد فِيهَا وَلَا يُرْغَب فِي اِقْتِنَائِهَا لِكَثْرَةِ الْأَمْوَال ، وَقِلَّة الْآمَال ، وَعَدَم الْحَاجَة ، وَالْعِلْم بِقُرْبِ الْقِيَامَة.

وَإِنَّمَا ذُكِرَتْ الْقِلَاص لِكَوْنِهَا أَشْرَف الْإِبِل الَّتِي هِيَ أَنْفَس الْأَمْوَال عِنْد الْعَرَب.

---

[١] قاله النووي في شرح الحديث.

وَمَعْنَى (لَا يُسْعَى عَلَيْهَا): لَا يُعْتَنَى بِهَا ، أَيْ يَتَسَاهَل أَهْلهَا فِيهَا ، وَلَا يَعْتَنُونَ بِهَا." انتهى باختصار.

وفي إعراض الناس عن أخذ المال إشارة إلى أنه لا يوجد فقراء أصلا ، فالكل سيكونون أغنياء.

قَوْله: (حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) ، أَيْ إن الناس حينئذ يَرْغَبُونَ عَنْ الدُّنْيَا ويُعرِضون عنها ، حَتَّى تَكُون السَّجْدَة الْوَاحِدَة لربهم أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، لعلمهم بقرب قيام الساعة ، وذهاب زمن العمل الصالح.

وفي هذا إشارة أيضا إِلَى صَلَاح النَّاس وَشِدَّة إِيمَانهمْ وَإِقْبَالهمْ عَلَى الْخَيْر ، فَهُمْ لِذَلِكَ يُؤْثِرُونَ الرَّكْعَة الْوَاحِدَة عَلَى جَمِيع الدُّنْيَا.

وأما قوله تعالى في الآية المتقدمة ﴿وإنْ مِن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ فمعناها: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح ، وفي يوم القيامة يكون المسيح شهيدا على من لم يؤمن به الإيمان الصحيح بأنه نبي بشر ، أرسله الله إلى بني إسرائيل بالمعجزات ، ليس له من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء ، وأنه دعا قومه إلى الإيمان بمحمد فور ظهوره.

وحينئذ يعلم كل عابد لعيسى أنه كان مخطئا ، وأن اتخاذه ربا إلٰها ليس من دين عيسى ولا محمد ولا موسى ولا أي واحد من الأنبياء ، ويندم حين لا ينفع الندم.

وقد تبين معنا أن المسيح "سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً ، فمِن مُـدَّعِي الإلٰهية كالنصارى ، ومِن قائلٍ فيه قولاً عظيماً وهو أنه وَلَدُ زَنْـيَـة وهم اليهود ، ومن قائلٍ إنه قُتِل وصُلِب ومات ، إلى غير ذلك ، فإذا نزل إلى الأرض قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كَذِب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء".[١]

المسيح ابن مريم سيحج إلى مكة ، لأداء فريضة الحج أو العُمرة أو كليهما

- ومن أخبار المسيح ابن مريم أنه سيقوم بعبادة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة ، والدليل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده ، لَيُهِـلَّنَّ[٢] ابن مريم بفَجِّ الرَّوْحَاءِ[١] ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، أَوْ لَـيُـثَـنِّـيَـهُـما[٢].[٣]

---

[١] قاله ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١١٣/١٧) ، باب: الحكمة في عدم التصريح باسم الدجال ، ط دار ابن كثير – دمشق ، بتصرف يسير.

[٢] يُهِل أي يرفع صوته بالتلبية للدخول في عبادة الحج.

- **فوائد متنوعة في موضوع نزول المسيح ابن مريم**

فوائد متفرقة

ينبغي أن يُعلَم أن من دلائل عِظَم قدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن المسيح عليه السلام – وهو من أولي العزم من الرسل – سيكون أحد أتباعه ، بل سيكون واليا على المسلمين كلهم ، مطبقا للشريعة الإسلامية ، وسيكون هذا إذا نزل المسيح في آخر الزمان ، كما تقدم.

دخول المسيح في دين الإسلام

ينبغي التنبه إلى أن صلاة المسيح خلف إمام المسلمين تدل على أن المسيح قد دخل في الإسلام ، فهو سيصلي بصلاتهم ومعهم.

ثم إنه سيحكم المسلمين بعد وفاة إمامهم ، ويكون حكمه معتمدا على شريعة الإسلام ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم منكم؟[٤]

ومعنى (أَمَّكم منكم) أي أمكم بكتاب ربكم وهو القرآن ، وسُنَّة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وهذا الاتباع لدين الإسلام ليس بغريب ولا نقص في قدر المسيح ، بل هذا من مناقبه وكمالاته ، فقد تقرر في القرآن أن الله أخذ الميثاق على جميع الأنبياء أنه إذا ظهر النبي محمد أنهم يؤمنون به وينصرونه ، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ، أي: واذكر أيها الرسول إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء: لَئِنْ آتيتكم الكتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنَّه. فهل أقررتم واعترفتم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي المُوَثَّق؟ قالوا: أقررنا بذلك ، قال: فليشهدْ بعضكم على بعض ، واشهَدوا على أمَمِكم بذلك، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

---

[١] فج الرَّوحاء هو موضع بين مكة والمدينة. انظر «معجم البلدان».

[٢] أي ربما يُهِل المسيح بالحج أو بالعُمرة أو بهما معا.

[٣] رواه أحمد (٢/٢٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند» (١٢/٢١٧): إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٤] تقدم تخريجه.

وهذا المجيء للنبي محمد قد صار من نصيب المسيح عيسى ابن مريم ، فقد بعث الله النبي محمدا بعده مباشرة ، كما بشرت به التوراة والإنجيل كما تقدم.

كذلك فإن قتل المسيح للدجال فيه رد على من يدعي أن المسيح هو الرب أو ابن الرب ، فإن هذا أمر ينكره المسيح جدا ، ولهذا قتل الدجال الذي ادعى هذه الدعوى الباطلة ، بل هو بشر مثلنا ، خلقه الله من أم بلا أب ، وهو قادر على كل شيء.

الأمم الثلاث كل واحدة تنتظر مُنتظَـرًا

قال ابن القيم رحمه الله: والأمم الثلاث تنتظر منـتَظرًا يخرج في آخر الزمان ، فإنهم وُعِدوا به في كل ملة ، والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل أعدائه من اليهود وعُـبّاده من النصارى.
وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة ، يملأ الأرض عدلا كما مُلئت جورا.[١]

انتهى من «إغاثة اللهفان» (٢/ ٣٣٨)[٢].
قال مقيده عفا الله عنه:

"وأما اليهود فينتظرون قائما من ولد داود عليه السلام ، يزعمون أنه إذا حرَّك شفتيه بالدعاء ماتت جميع الأمم ، وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وُعِدوا به ، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال ، فهم أكثر أتباعه ، وإلا فمسيح الهدى عيسى ابن مريم عليه السلام يقتلهم ، ولا يبقي منهم أحدا".[٣]

فاليهود سيعاقبهم الله بنقيض قصدهم ، بأن يكون إمامهم المنتظر – المسيح الدجال – هو سبب هلاكهم ، بسبب كفرهم بمسيح الهداية ، فيأتي المسيح ابن مريم والمهدي ومن معهما من المسلمين

---

[١] دليل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا ، ثم يخرج رجل من عِترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما مُلِئت ظلما وعدوانا.
رواه أحمد في «مسنده» (٣/٣٦) ، وقال محققو «المسند» (١٧/٤١٦): صحيح على شرط الشيخين.
ومعنى (عِترتي) أي أقاربي الخاصين ، إذ معنى العِتَرة أي الأقارب الخاصين.

[٢] بتحقيق محمد حامد الفقي.

[٣] قاله ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/٣٣٨) ، بتحقيق محمد حامد الفقي.

فيقتلونهم جميعا ، هم وإمامهم المنتظر الذي سينضوون تحت لوائه ، كما صح بهذا الخبر عن نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم.

ومن اللطائف أن اليهود يجتمعون الآن في المكان الذي ستكون فيه المعركة ، وهو فلسطين ، كما نشاهده الآن ، بعد احتلالهم لها ، وسينضم معهم سبعون ألفا من يهود أصبهان ، ثم يكون سحقهم على أرض فلسطين المباركة.

وهناك أمة رابعة تنتظر منتظَرا وهم الرافضة ، الشِّيعة الإمامية ، ينتظرون خروج مهديِّهِم من سرداب في مدينة سامُرَّاء بالعراق ، يقولون إنه دخل السرداب في عام ٢٧٥ ، وهو باقٍ فيه منذ ذلك الحين ، وسيخرج بزعمهم وتكون الدولة لهم ، ويملأ الأرض عدلا ولرخاء كما مُلِئت جورا وظلما ، وهذا كله دجل وخرافة ، ولا حقيقة له ، والسرداب ليس فيه شيء ، ولا يمكن لبشر أن يبقى فوق سطح الأرض هذه المدة الطويلة بلا طعام ولا شراب ، ولكن دين الرافضة كله كذب وتلفيق ودجل ، ومعاندة للعقل وتعلق بالخرافات ، وهم مع هذا ينسبون أنفسهم للإسلام ، والإسلام من إفكهم بريء.
قال الشيخ محمد بن صالح المنجد حفظه الله:

يكون الحكم لعيسى عليه السلام بعد أن يقتل الدجال ، وهو مسيح الضلالة الذي ينتظره اليهود ، فالمسلمون ينتظرون المسيح الحق الذي لم يُقتل ولم يصلب ، والنصارى ينتظرون المسيح الموهوم الذي قُـتِل وصلب وقُبر ، واليهود ينتظرون المسيح الدجال الذي يقتله الله على يد عيسى ابن مريم عليه السلام.

ودلت السنة – أيضا – على أن هلاك قوم يأجوج ومأجوج يكون بدعاء عيسى عليه السلام ، وبهذا تَـطْـهُر الأرض من أهل الشرك والكفر ، ولا يبقى إلا أهل التوحيد والإيمان.[١]

تعريف بـ «ذي القرنين» الذي بنى السد على قوم يأجوج ومأجوج

الذي بنى السَّد حائلا على قوم يأجوج ومأجوج هو ذو القرنين ، بناه دونهم كحاجز حتى لا يخلصوا إلى الناس فيفسدوا عليهم عيشهم ، قال الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله:

ذو القرنين المذكور في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ، كان ملكا من ملوك الأرض وعبدا صالحا مسلما ، طاف الأرض يدعو إلى الإسلام ويقاتل

[١] فائدة منقولة من موقعه: https://islamqa.info/ar/١٧٠١٧٤

عليه من خالفه ، فنشر الإسلام[١] وقَمع الكفر وأهله وأعان المظلوم وأقام العدل. صح عن مجاهد أنه قال: "مَـلَـكَ الأرض مشرقها ومغربها أربعةُ نفر: مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان: سُليمان بن داود وذو القرنين ، والكافران: بُختـنُـصَّر ونمرود بن كنعان ، لم يملكها غيرهم".

رواه الطبري في «التفسير» (٥/٤٣٣).

قال ابن كثير رحمه الله:

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل ، وأنه بلغ المشارق والمغارب ، وملك الأقاليم ، وقهر أهلها ، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط . والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين.

انتهى من «البداية والنهاية» (٢ /١٢٢).

انتهى كلام الشيخ محمد صالح المنجد.[٢]

---

[١] أي الإسلام بمعناه العام وهو عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه.

[٢] هذه الفائدة منقولة من موقعه: https://islamqa.info/ar/١٥٨١٩٠ .

وقد جاءت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر يأجوج ومأجوج ، منها حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها الذي رواه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

وكذلك حديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه الذي رواه أحمد (٣/٧٧) وابن ماجه (٤٠٧٩) ، وقال الألباني: حسن صحيح.

خلاصة

الدلائل العشرون على تكريم المسيح عيسى ابن مريم

١- من دلائل تكريم المسيح أن الله بشر مريم بأنها ستنجبه ، وقد كانت البشارة عن طريق الملائكة.

٢- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله تعالى حفظه من نخسِ الشيطان عند ولادته.

٣- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله تعالى علمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ومعنى **الكتاب** أي الكتابة ، وتعليم الكتابة من أعظم نِعم الله على بني آدم لأنه يحصل بها العلم والتعليم ، **والحكمة** أي السداد في القول ، وقيل معرفة أسرار الشرع ، وكلا المعنيين صحيح ، وبحصول هذه النعم الأربعة حصل للمسيح أعظم نعم الله العلمية.

٤- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله جعله وجيهاً في الدنيا والآخرة ، أي له مكانة ومنزلة وجاهة عنده وعند الناس.

٥- ومن دلائل تكريم المسيح أنه من أولي العزم من الرسل ، وهم خمسة ؛ نوح وإبراهيم وموسى والمسيح ومحمد ، عليهم صلوات الله وسلامه.

٦- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله وصفه بأنه من المقربين ، أي أنه مِمَّن يقربه الله يوم القيامة.

٧- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله وصفه بأنه من الصالحين.

٨- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله أعطاه معجزات ، لتكون دليلا على أنه نبي ، منها أنه كلَّم الناس في المهد وكهلاً ، أي لما كان صغيرا كلمهم ، ثم لما كان كبيرا كلمهم بالوحي ، وأخبرهم أنه نبي ، وكان هذا وهو في سن الثلاثين.

ومن المعجزات التي أعطاه الله إياها لتكون دليلا على نبوته أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه – وهو الذي وُلِد أعمى – وهذا من أشد أنواع العمى ، ويبرئ الأبرص ، وينبئ الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الأطعمة ، وهذا يدل على أنه يوحى إليه ، لأنه ليس أحدٌ

من البشر يعلم ما يأكل الناس في داخل بيوتهم ولا ما يدَّخرونه من الأطعمة ليأكلوه في المستقبل ، إلا إذا كان الله يوحي إليه بذلك ، فدل على أنه نبي من عند الله.

٩- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله تعالى أيده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ، وقد ورد إثبات هذا في ثلاثة آيات من القرآن الكريم ، انظر سورة البقرة: ٨٧ ، ٢٥٣ ، وسورة المائدة ١١٠ .

١٠- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله سخر له حواريين يكونوا له أعوانا وأتباعا على دينه ، والحواريون هم الخُلَّص من الأتباع.

١١- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله جعل من اتبعه فوق الكافرين إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ ، وبيان ذلك أن الله جعل مكانة الحواريين فوق مكانة من كفر بالمسيح واعتقد به خلاف الحق.

وبعد رفع المسيح فإن أتبْـاعه بصدقٍ هم الذين طبقوا ما جاء في الإنجيل الأصلي ، من الإيمان بالنبي الخاتمي محمد صلى الله عليه وسلم ، والدخول في الإسلام ، وهذا واقعٌ في جميع الأزمنة ، فقد دخل في دين الإسلام نصارى كثيرون لما وجدوا أن المسيحية المعاصرة لا تمثل دين المسيح الأصلي ، وأنها محرفة تحريفا عظيما ، وأنها لم تأتِ إلا بالتشويش والتناقض ، ووجدوا أن دين الإسلام واضح كالشمس فيما يتعلق بالمسيح وبأمه وبجميع الأنبياء ، وأنه يعطيهم حقهم ، ويعطي الله حقه ، ولا يخلط بين الإثنين ، لا يخلط بين الرب وبين البشر مهما كانت منزلتهم ، وهذا هو الموافق للعقل والفطرة والضمير والمنطق ، ووجدوا أيضا أن البقايا الصحيحة من دين المسيح والمبثوثة في الأناجيل الحالية تشير إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ووجدوا أن رسالة الإسلام متممة لرسالة المسيح الأصلية ، كما كانت رسالة المسيح متممة لرسالة موسى ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم ، فاطمئنوا إلى أن محمد هو النبي المقصود بكلام المسيح فدخلوا في الإسلام ، ، فهؤلاء مكانتهم عند الله فوق مكانة من لم يدخل فيه ، وإذا حصلت مناظرات دينية بينهم وبين قساوسة النصارى فإنهم ينتصرون لقوة الحق الذي معهم ، ولهذا فالنصارى المتعصبون يخشون مناقشتهم في العلن ، لعلمهم بأنهم سيخسرون في النهاية ، لكون المسيحية المعاصرة عقيدة هشة ، من صنع البشر وتحريفهم ، لا تقوى على الصمود ، وقد ترتب على هذا

الوضوح والعلو الديني لدين الإسلام دخول عدد كبير من النصارى فيه ، لا سيما في البلاد التي تنعم بحرية الرأي مثل أمريكا والدول الغربية.

١٢- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله طهَّره ، كما في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ **وَمُطَهِّرُكَ** مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، ومعنى ﴿ومطهرك﴾ أي منجيك ومخلصك من كيد اليهود لك بالقتل والصلب ، ونظير هذا قول الله تعالى ﴿وإذ **كففتُ** بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ ، ومعنى قوله ﴿وإذ **كففتُ** بني إسرائيل عنك﴾ ، أي ردَّيتُ عنك أذاهم.

١٣- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله رفعه إليه ، فهو الآن بجسمه وروحه في السماء.

١٤- ومن دلائل تكريم المسيح أنه ينزل آخر الزمان حكَماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

١٥- ومن دلائل تكريم المسيح أنه سيقتل المسيح الدجال ، الذي هو أعظم فتنة خلقها الله ، وكفى بهذا شرفا.

١٦- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله سيُهلك قوم يأجوج ومأجوج بسبب دعاء المسيح ومن معه من المسلمين عليهم ، وهذا من أعظم فضائله أيضا.

١٧- ومن دلائل تكريم المسيح أنه سيكون واليا ومَلِكا على المسلمين بعد وفاة المهدي ، نحو ثلاث وثلاثين سنة.

١٨- أن سنوات حكمه وحكم المهدي قبله ستكون سنوات رخاء وأمان تامَّين في الدنيا كلها.

١٩- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله تعالى برأ أُمَّـهُ من التهم التي قذفها به اليهود ، وجعل هذه البراءة في كتابه المقدس الذي يتلوه الناس في أنحاء الدنيا إلى يوم القيامة ، وهو القرآن الكريم ، وللعلم ففي القرآن سورة باسم «مريم» ، في حين أن الكتب المنسوبة إلى الإنجيل لا يوجد فيها سورة واحدة باسم «مريم» ، فمن الذي أعطى مريم حقها من الاحترام والتوقير ، دين الإسلام أم المسيحية المعاصرة؟

٢٠- ومن دلائل تكريم المسيح أن المسيح بشَّر بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، النبي الخاتمي ، الذي أرسله الله للناس كافة ، العربي وغير العربي ، الإنس والجن ، ودعا بني إسرائيل إلى الدخول في دين الاسلام ، وسوف يدخل بنفسه في دين الاسلام إذا نزل في آخر الزمان ، تحقيقا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإعلاء لدينه الإسلام.[١]

[١] انظر كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

وانظر أيضا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلا على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل) ، تأليف د. صلاح الراشد ، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

مقال رقم ١٠

خاتمة

تم البحث بحمد الله ، وقد تم طرح المواضيع المهمة التالية في حياة المسيح ، والتي أحسبها ستجلي كثيرا من الإشكالات القائمة في أذهان كثير من النصارى (المسيحيين) عن ماهية المسيح وأمه مريم العذراء ، ومكانتهما البشرية ، وبراءتهما مما نُسِب إليهما من إجحاف أو تعظيم زائد وصل إلى حد التأليه.

١. قصة ميلاد مريم بنت عمران

٢. قصة ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم

٣. إثبات أن الله منزه عن الولد

٤. ذكر شيء من دلائل نبوة المسيح عيسى ابن مريم

٥. ذكر شيء من أخبار المسيح عليه السلام ومناقبه

٦. صِفَةُ المسيح عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام

٧. قصة رَفْعِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام

٨. اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء

٩. قصة نزول المسيح ، وما يحصل بعد نزوله من أحداث عِظام

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[٢] ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

والله أعلم وأحكم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى سائر أنبياءه ، وسلَّم تسليما كثيرا.

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على جميع أنبياءه ورسله ، وسلَّم تسليما كثيرا

وكتبه ماجد بن سليمان ، في الثامن من شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٣٧ هجري ، الموافق ١٧ مارس من عام ٢٠١٦ ميلادي

majed.alrassi@gmail.com

00966505906761

[٢] جبرائيل هو أعظم الملائكة ، وهو الملك الموكل بالوحي إلى الرسل.
وميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر.
وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء.
ومعنى فاطر السماوات والأرض أي خالقها.

مقال رقم ١٠

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة – وهي منشورة في موقع «الدين الواضح»
www.saaid.net/The-clear-religion

١. الكتاب المقدس – القرآن

٢. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن

٣. لماذا خلقنا الله؟

٤. قصة أبينا آدم في القرآن

٥. المكانة العظيمة لمريم العذراء وابنها النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم في دين الإسلام

٦. قصة رفع النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء وتَـنجِـيته من الأذى

٧. هل المسيح رب؟ – «ثلاثون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٨. أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح – «أربعون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٩. التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون

١٠. الدلائل على تحريف دين اليسوع بعد رفعه إلى السماء

١١. مهلا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

١٢. حوار علمي هادئ مع القساوسة

١٣. موقف الإسلام من الإرهاب

١٤. Who Deserves to be Worshipped

١٥. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible